المقتبس

الجزء الثاني من المجلد الثاني

صفر سنة ١٣٢٥ الموافق مارس (آذار) سنة ١٩٠٧

صدور المشارقة والمغاربة

امير سوته

١٨٠٢ - ١٨٨٢

يظن بعضهم ان العالم اذا بثّ فضل علمه والاديب اذا نشر آثار أدبه والاخلاقي اذا علّم الحكمة لاهل جيله وقبيله وصاحب الدعوة أو النزعة اذا نفخ في الناس من روحه ولم يظهر للعيان في الحال أثر مما قصدوا له ووقفوا نفوسهم عليه وانفقوا قد أعمارهم على خدمته يعدون في الخائبين الخاسرين وان العمل اذا لم يُنتج لاول الامر لايُعد صاحبه رجلاً مذكوراً ولا عمله مبروراً مشكوراً كأن يطلبون من الفرس ان يثمر في يومه ومن الطفل ان يكبر بانفصاله عن أحشاء أمه وفاتهم ان لكل عمل عمره ولكل مؤثر أثره والله لا يضيع عمل عامل

يكاد يوقن كل ناظر في الحضارة الغربية وباحث في تاريخها منذ مئتي سنة انها ترمي بالتدريج الى ان تكون حضارة مادية بحتة لا ينظر فيها لغير الابيض والاصفر وان اهل الغرب على اختلاف أعراقهم وحكوماتهم لا يحبون ولا يريدون ان يحبوا

الا الحياة المادية ولا تراهم الا زاهدين في الحياة الادبية أو الروحية . فعلى نسبة غنى المرء عندهم وكثرة ذهبه تزداد حرمته والاعجاب به وكلما استحل أكل مال الضعيف وتفنن في هضم حق الفقير ولو تحت ستار الاحتكار أو الاستمار أو الشركات والمضاربات عد من ارباب العقول والمضاء وهذا من عيوب هذه المدنية الاوربية وما نخال ان الحال كانت كذلك على عهد الحضارة الاسلامية

الحياة المادية تكاد الآن تغلب في كل بلد من المعمور على نسبة دخول نور العلوم وفضلات التمدن الحالي وتشهدها على اتمها في الولايات المتحدة الاميركية لان جميع أهلها من المهاجرين من أقطار العالم في طلب الرزق وقل فيهم مثل المهاجرة الأول الذين هاجروا اليها فراراً بنفوسهم من ظلم الحكومات الاوربية فتكون منهم والله اعلم على ما طبيعة تلك المملكة الضخمة من الخصب وأسباب الثروة التي لم يجتمع مثلها لمملكة أقوام يحلون بالدولار ويحيون به ويموتون في حبه ويفضلون كل شيء على مثاله ويسعون بكل ما يمكن الى نيله ولا يفكرون في غيره من الحياة الادبية التي لو نزعت من أمة لزالت عنها سعادتها وغبطتها ونعماؤها

ولقد كان أول من دعا من حكماء تلك الديار الى الاقلال من هذا التكالب الضار والجمع بين حب الذهب وحب الادب صاحب هذه الترجمة اميرسون حكيمها وعالمها العامل. دعا الى ذلك واهل طبقته من المفكرين في أمته فاثرت دعوته في بعض النفوس تأثيراً نظرياً ولكن لم تظهر آثارها العملية حتى الآن على ان كثيراً من زعماء الافكار وحملة العلم فيهم يتوفرون اليوم على قتل تلك الروح المادية ومحاربتها للتخفيف من شرر شرورها وفي طليعتهم الرئيس رو فلت[1] داهية الارض وعالم السياسة والامبراطرة وأعقل الملكين من المطلقين والمقيدين

نشأ اميرسون في حجر الدين وكان أبوه رئيساً دينياً من شيعة الموحدين[2]

(١) المقتبس ص ٢٧٩ م ١

(٢) الموحدون Les Unitaires هم شيعة من شيع البرتستانت ينفون التثليث ويقولون بوجود

فانصرف في أول أمره الى احتذاء مثال والده في الوعظ والارشاد ونال وظيفته في كلية هارفرد الجامعة فدرس فيها علم اللاهوت وغدا واعظاً موحداً في احدى بيع بوستون الا انه لم يلبث ان تخلى عن هذه الصناعة وذهب الى بلدة كونكورد[1] سنة ١٨٣٥ ينقطع للتعليم والالقاء على سبيل المذاكرات العامة والى تأليف الكتب وانشاء المقالات في المجلات وأسس لنفسه مجلة دينية فلسفية سماها الكمال وكانت تآليفه لاول عهده فلسفية محضة ولما زار انكلترا سنة ١٨٤٨ ورأى اهل العالم القديم وما عندهم من آثار وأمصار تنبهت فيه القوى النفسية فوضع تأليفاً كان سبباً لان لُقّب به « كارلايل أميركا » تكلم فيه على كثير من كبار الرجال ممن بلغوا مراتب الكمال على نحو ما تكلم كارلايل الانكليزي في كتابه « الابطال وعبادة الابطال » . ومن جملة كتب اميرسون التي تأنّقت بها شهرته كتاب سماه « الخُلُق الانكليزي » درس فيه أخلاق الامة الانكليزية من الوجه الاجتماعي والادبي وشرح فيه على أحسن طراز وألطفه واوضح أسلوب وافعمه الاسباب التي نجم عنها مجموع النقائص والعيوب التي يتألف منها الخُلُق البريطاني .

كان اميرسون كاتباً وشاعراً وهو الى الكتابة أميل وفيها امتن وارصن . منقطع القرين في سلاسة التعبير ولطف الاداء والتصوير مما كاد يبلغ به حد الاعجاز في لغته .

واحد أحد . وينزل أكثرهم في مقاطعة الماساشوست في الولايات المتحدة و بعضهم في انكلترا ومذهبهم أشبه بمذهب سوسين الايطالي القائل بعدم ألوهية المسيح والنافي ان فيه سراً الهياً . وربما كان عددهم يربو على مليوني نسمة . جاء في معجم القرن التاسع عشر الكبير للاروس : والموحدون أكثر شيع البرتستانت حرية فهم ولا جرم أكثرهم انصباغاً بصبغة الديمقراطية كما ان شيعة الكواكر اكثر الشيع البرتستانتية احساناً وحناناً وعطفاً على القانع والمعترلكنهم أي الموحدون يكثرون من تغيير الكتاب المقدس

(١) احدى مدن الماساشوست الصغيرة لايتجاوز سكانها الخمسة آلاف وهي من أجل البقاع تحلو النزهة بنهرها العذب الصافي وغاباتها اللطيفة ولذلك اختارها كبار أهل العلم والأدب من الاميركان سكناً لهم وفيها الآن ماري ادي صاحبة ديانة العلم المسيحي واليها يحج اشياعها

وكان حكيماً مفكراً واخلاقياً عظيماً. قيل ان الوحدة التي مال اليها اميرسون وسمة العبقرية التي انقذته من الهموم الخارجية اتاحتا له ان يكون منه في القرن التاسع عشر رجل شبيه بموتين في القرن السادس عشر هذا كاثوليكي وذاك برتستانتي . فاميرسون حكيم كونتين وشارون الحكيمين لفرنسويين وشكسبير الشاعر الحكيم الانكليزي . ولقد أولع بدرس كتب موتين ثم انتقل الى الاخذ من كتب شكسبير فهو مثلها باحث من النظار وهو مثلها في الاطلاع والعمل بما في فطرته بعيد الغور حسن التمليل جيد النقد نافذ البصيرة خالص من شوائب التقليد .

قال مترجموه انه جمع جميع الادوات التي تطلب للفلسفة ولم يتيسر له ان يحيلها الى طريقته . ومما امتاز به نقده احوال عصره لان طرق الحكومات الجمهورية تهلك الفرد في سبيل الجماعة فقام اميرسون وناهض في عصره هو وكبار ارباب العلم من اهل حلقته المتشبعين بافكاره امثال وتوروالكوت وشانغ وفرانك سانبون[1] وغيرهم المتكالبين على الغنى المستحلين للمطامع . وقام يقول للفرد : اعتقد بما يوحيه اليك قلبك . ورأى ان الصناعات تقضي على عالم الكمال فأنشأ يقول ان العالم لا يحيا حياة طيبة رغيدة الا اذا نبذ الانانية وطهّر حياته من الشهوات البدنية ليبلغ الزلفى من رب العباد براً تقياً. فاميرسون هو صاحب الفلسفة المعنوية التي تدعو الى المعارف والآداب *Transcendantalisme* وقد وصفته مجلة بلاكوماكازين بقولها : « كان اميرسون من اسجح الناس خُلُقاً وأوسعهم علماً وأحسنهم رأياً واسمحهم فكراً وآلفهم بالفطرة واخلصهم من الاوهام المائجة المتغيرة ليس له نظرية يحيد عنها ولا طريقة يصعب الاخذ بها ولا ارب في القبض على قياد أحد . يطلب للمرء ان يكون لنفسه وان لا يعتمد الا عليها وان يوقرها ويحترمها على مثال كبار الرجال ممن لهم ما له وعليهم ما عليه . فان قام اميرسون بمبدإ

(١) حدثني صديقي أمين ريحاني ان سانبون لايزال حياً وقد زاره في مدينة كونكورد وهو شيخ كبير يعد آخر اشياع اميرسون وتلاميذه قال وقد أراني دار اميرسون ومجرفة كتابته وهي الآن محفوظة على حالها يوم كان اميرسون حياً تزار للفرجة عليها

عام استنتج من فلسفته أو تصور انه أتى امراً جديداً لم يسبق اليه سابق فهو انه دعا الى اعادة الانسان الى شرفه في نظر أخيه والاهابة بالناس الى الغيرية وزحزحتهم عن الانانية ليكون المرء كبيراً في نفسه معتمداً عليها مستقلاً كل الاستقلال في افكاره وافعاله وهذه هي الشروط الحقيقية في القوة الشخصية والخير الاجتماعي

وما ترانا مخطئين لو عقلنا ان فلسفة اميرسون النظرية تتعاصى على التحليل فتقتضي حلها بحسب ما يوحي اليه وحي الوقت وان يرجع الى حلها في مشاكل المسائل المتعلقة بما وراء المادة واذا تعاورتها بالحذف والتنقيص تُفقدها رُواءها وتضع سناها وسناءها فعليك يا هذا ان تقبلها على علاتها وتشربها على كدوراتها اذ ان حسنها ان تبقى على رسمها كما صدرت عن ابي عذرتها وهو يسير في الفلوات ويصعد الآكام والعقبات ويوغل في الحراج والنابات ويعليها بحسب ما تنزل عليه من السماء ويستنشقها من الهواء ويسمعها من حفيف الاوراق ويتناولها من أرج المروج الخضراء ويقرأوها في سطور المسايل والتيار . فان انت حذفت منها اضطرابها وارتخاءها وتلون صورها ولهجاتها وارتجالها ومواضع الوقف فيها تُصاب بآفة وعاهة . ولذا كان علينا ان نقبل تعاليم اميرسون بالحرف بدون ان نغير منها شيئاً فهو ابن الوحدة والتأمل »

شعراء النصرانية في الجاهلية

عُني حضرة الاب لويس شيخو اليسوعي منذ برهة باظهار فضل شعراء النصرانية في عهد الجاهلية وهو نعم العمل لو توخى في ذلك صراط الحق واتبع سنن التاريخ المسنون نقلاً ورواية . الا انه حفظهُ الله قد أخذ على نفسه امراً هو في غاية الصعوبة والمنت ألا وهو تنصير بعض شعراء الجاهلية ممن لم يكن لهم من النصرانية حظ . فلا غرو انه يعد هذا العمل من قبيل تنصير من كان على الضلال مبتغياً بذلك القربى والزلفى من رب العباد واكتساب الاجر والثواب في الدنيا والمآب . غير انك

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

وياليته وقف عند هذا الحد وكأنه لم يجتريء بذلك فاخذ الآن يحل قيد من تقيد بدينه واجباره على النصرانية قبل أم أبى . كما فعل هذه السنة بالسموأل اذ اجبره وهو بين الاموات على انكار دينه وانتحال النصرانية له . فلا جرم لو أمكن للموتى ان ينطقوا لكان اول نطق السموأل انكار هذه الفعلة الشنعاء وهذا القهر المنكر : واذا سألتني متى فعل حضرة الاب هذا الفعل ؟ قلنا : فعل ذلك عند عثوره على قصيدة تُنسب الى صاحب الابلق الفرد (المشرق ٩ : ٤٨٢ و٦٧٤) وقد زاد عليها بعض النصارى بيتاً أو بعض ابيات لايهام القاريء انه كان على النصرانية . وهذا ما حدا الاب الى ان يقول في (المشرق ٩ : ٦٧٥)

« نشكر حضرة مراسلنا الذي أطلعنا على روايات هذه القصيدة . وكنا وددنا لو زادنا علماً عن النسخة التي أخذ عنها لتعريف قدمها وخواصها. وان كان البيت الاخير صحيحاً صدق ظننا السابق بان السموأل نصراني لا يهودي لا سيما ان أصله من بني غسّان و بنو غسان نصارى اه

قلنا : نقلنا كلام الاب برمته ليطلع عليه القاريء الحكم العدل و يعرف قوة براهينه وحججه . أما قوله : « ان كان البيت الاخير صحيحاً صدق ظننا السابق بان السموأل نصراني » . قلنا : ونحن نقول مثله غير انه لسوء الحظ خطته يدٌ أثيمة فحطته هذا المحطومن هذا يظهر ان الناظم النصراني الكاذب لم يراع انتقال الرموز شيئاً بعد شيء لتنتهي الى ظهور المسيح بل هجم على الموضوع دفعةً هجوم الذئب الجائع فوقع على فريسته وفراها بانيابه الا ان الغير وقفوا عليها أيضاً فاظهروا خيانته

وأما قول الاب : « ولا سيما ان أصله من بني غسان و بنو غسان نصارى » فهو قول لا يسلم به المطلعون على أخبار العرب في عهد الجاهلية . لان من غسان من كان على دين دهماء العرب وهي الوثنية ومنهم من دان باليهودية وطائفة كانت على النصرانية

فكيف يقول بعد ذلك : ان غسان كانت نصارى

أما ان فريقاً منهم كان يدين بالوثنية فهو أشهر من ان يذكر فهذا الحارث الاكبر ابن أبي شمر الغساني الملقب بالاعرج وهو الذي اشتهر ملكه في ايام القياصرة فانه كان وثنياً فحاً ويتضح ذلك من انه : « اهدى سيفه المعروف احدهما باسم رسوب والآخر باسم مخذم ليبت الصنم (عن الطبري ١ : ١٧٠٦) وبيت الصنم المذكور هو بيت مناة لان غسان كانت تعبد هذا الصنم (عن معجم ياقوت في مادة مناة)

وزد على ذلك ان تلبية غسان عند وقوفها عند صنمها كانت هذه : « لبيك رب غسان . راجلها والفرسان » (عن تاريخ اليعقوبي ١ : ٢٩٧) . وهذا سطيح الكاهن المشهور فانه كان غسانياً الا انه لم يكن نصرانياً وان كان خال نصراني من اهل الحيرة

فهل بعد كلام هؤلاء الائمة الافاضل مندوحة للابهام والابهام ؟ — نعم ان حضرته اذا اراد ان يزكي نصرانية شاعر برأ ساحته من كل ما يمكن ان يقع على ثياب دينه ادنى غبار الا ان ذلك كله اذا فات على عقول بعض القراء فلا يفوت على عقول الادباء لانه لا يشفي فيهم علة كما لا يروي منهم غلة

أما ان اليهودية كانت في غسان فهذا بين من دين السموأل فانه ليس من كاتب أو اديب أو مؤرخ أو لغوي ذكر دين السموأل الا وقال عنه انه يهودي المذهب فهذا الطبري وابن الاثير وابن خلدون والمسعودي وابو الفداء واليعقوبي وابن رسته ونحوهم هم لسان واحد لاثبات هذه الحقيقة الراهنة التي هي على زُرية من سيل الوهم والخيال . لا بل ان حضرة الاب نفسه يقول بذلك في مجاني الادب ٣ : ٣١٣ في الحاشية فكيف انثنى اليوم عن رأيه ؟ — هذا وان اليعقوبي يقول بصريح العبارة ٢٩٨ « وتهود قوم من غسان » وهو يقول ايضاً في ص ٢٩٩ ان النصرانية كانت ايضاً في غسان . ومن ثم نقول من يقول ان اليهودية كانت في غسان كما ان النصرانية والوثنية كانتا فيها فهو بعيد عن سهام الملام

هذا من جهة السؤال والا فان حضرته قد نصر ايضاً غير هذا من الشعراء ما قد اذخر له أجراً مذكوراً لا يفنى ولا يزول اذ لا تمد اللصوص اليه يدها كما ان السوس لا يتعرض له . من ذلك انه نصر في الجزء الاول من كتابه « شعراء النصرانية » هؤلاء الواردة اليك اسماؤهم مرتبة على حروف المعجم :

الاخنس بن شهاب . أعشى بن قيس . الافوه الاودي . أفنون . امرؤ القيس وأعمامه . أمية بن أبي الصلت . بسطام بن قيس الشيباني . جساس بن مرة . جليلة . جحدر بن ضبيعة . الحارث بن حلزة . الجارث بن عباد . الخرنق أخت طرفة . سعد بن مالك البكري . السفاح التغلبي . سويد بن أبي كاهل اليشكري . طرفة . عبد يغوث . عمرو بن قميئة . عمرو بن كلثوم . عميرة بن جعيل التغلبي . الفند الزماني كليب . وائل بن ربيعة . المتلس . المثقب العبدي . المرقش الاصغر . المرقش الاكبر . المسيب بن علس . المنخل اليشكري . المهلهل أخو كليب

ونصر في الجزء الثاني : الاسود بن يعفر . ذا الاصبع العدواني . أوس بن حجر الحصين بن حمام . دريد بن الصمة . الذبياني . الربيع بن زياد . زهير بن أبي سلمى المزني . زيد بن عمرو بن نفيل . سلامة بن جندل . عبيد بن الابرص الاسدي . عروة بن الورد . علقمة الفحل . عنترة العبسي . كعب بن سعد الغنوي

ولعلك تظن ان عمله المبرور يقف عند حد تنصير الافراد فاربع على ظلعك فقد نصر ايضاً عدة قبائل وبطون مما يدل على غيرته . فمنه كندة ومذحج وطيء وتغلب وقضاعة واياد وبكر وتميم ومزينة وأسد وكنانة وعدوان وذبيان وغني وهوازن وعبس كلهم نصارى لا غير ولا غرو انهم تلقوا الايمان القويم عنه عند قدومه الى العالم واسماعه اياهم صوته وهم في القبور

على انك لو وقفت على سر دعائه هؤلاء الاقوام الى دين عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام لاستغرقت في النوم والاحلام الا اني لا أريد أن أطلعك بنفسي

على هذا السر الغريب بل أجتزيء بان أورد لك بعض الشواهد لتقف أنت بنفسك عليه بدون أن أبوح لك به ليكون كل الفضل لك

قال مثلاً في المشرق ٧ : ٦٢٠ « قال طخيم بن الطخماء يمدح بني تميم :

واني وان كانوا نصارى أحبهم ويرتاح قلبي نحوهم ويتوق » اه

قلت : ان الكلمات التي قدّمها على هذا البيت وصدّره بها يوهم ان تميماً كلها كانت نصارى . والحال ان الحق هو على غير هذا الوجه فان الشاعر مدح « بعضاً » من تميم . قال في الكامل ١ : ٢٦ (من الطبعة المصرية) ماهذا حرفهُ : قال أبو العباس : ومن سهل الشعر وحسنهِ قول طخيم بن أبي الطخماء الاسدي يمدح قوماً من أهل الحيرة من بني امريء القيس بن زيد مَنَاة بن تميم . ثم من رهط عديّ بن زيد العبادي :

كأن لم يكن يومٌ بزورة صالحٌ وبالقصر ظلٌّ دائمٌ وصديقُ

بنو السمط والحدّاء كل سميدع له في العروق الصالحات عروقُ

واني وان كانوا نصارى أحبهم ويرتاح قلبي نحوهم ويتوقُ

اه المقصود من ايراده . وعلى هذا الوجه أيضاً جاء النظم المذكور في معجم ياقوت في مادة زورة ٢ : ٩٥٧ فكيف صير اذاً جميع بني تميم نصارى وفيهم الوثنيون والمجوس واليهود والثنويّة والنصارى الى غير ذلك من الاديان ؟ فلا جرم أن حضرة الاب واهمٌ في قوله هذا بل موهم !

ومن غريب أمره أنهُ من بعد أن نصّر تميماً قال بعد صفحات من قوله المذكور في بني تميم كلاماً هذا نصهُ بحرفهِ : « وعلى ظننا أن الذين هجوا بني حنيفة لأكلهم لحومهم وقت المجاعة انما أرادوا القربان الاقدس . كان بنو حنيفة النصارى يتناولونهُ فظن الشاعر أن ذلك لجوعهم قال بعضهم :

أكلت حنيفةُ ربها زمن التقحّم والمجاعه

لم يحذروا من ربهم سوء العقوبة والتباعه

وقال الآخر :

أكلت ربًّا حنيفةُ من جو ع قديمٍ بها ومن اعواز

(اه عن المشرق ٧ : ٦٢٣)

قلنا : ان الذين هجوا بني حنيفة هذا الهجو كانوا من تميم (عن الآثار الباقية ص ٢١٠) فاذا كان الاب يزعم أن بني تميم كانوا نصارى وكان بنو حنيفة أيضاً نصارى فكيف يُعيّر الواحد الآخر بشيء هو فيه ؟ أما تحرير الرواية فهو ان « بعض » بني حنيفة (لا كلهم) كانوا نصارى وهم الذين كانوا يكونون في رُصافة هشام المعروفة باسم الزوراء والا فان سائر بني حنيفة كانوا على أديان مختلفة حسب البلاد التي كانوا يكونون فيها . والذين أشار اليهم الشاعر هم الذين كانوا قد اتخذوا صنماً من حَيْس (والحيس تمر يخلط بسمن وأقط فيُعجن ويُدلك شديداً حتى يمتزج ثم يُندر منه نواه وربما جُعل فيه سويق . ولم يكن من الخبز قط) . قال في الآثار الباقية ص ٢١٠ : كان بنو حنيفة قبل مُسيلمة اتخذوا في الجاهلية صنماً من حيس فعبدوه دهراً . ثم أصابتهم مجاعة فقال رجل من بني تميم : أكلت ربها . اليت . وقال آخر : أكلت حنيفة . اليت . فاين هذا مما يذهب اليه حضرة الاب ؟ فلا جرم أنهُ واهمٌ بل موهِم

وقال حضرتهُ في المشرق ٧ : ٦٢١ « وكان المتنصرون من أهل الجاهلية يعبدون الصليب كما دل عليه بعضهم في هجو بني عجل وكانوا نصارى :

تهدّدني عجلٌ وما خلت انني خلاةٌ لعجل والصليب لها بلُ » اه

قلنا : ولم يكن بنو عجل كلهم نصارى بل « بعض » منهم . والا فان أغلبهم كانوا على الوثنية دين دهماء العرب لا النصرانية كما يريد الأب أن يوهمهُ . اذ بنو عجل كانوا من بكر بن وائل ووجود الوثنية في بطون بكر أمرٌ لا يحتاج الى ايضاح

وقال أيضاً في المشرق ٧ : ٦٢٤ « وقال الزبرقان بن بدر :

نحن الكرام فلا حيٌّ يعادلنا منا القروم وفينا تنصب البِيَعُ » اه

فأدخل وهمين في هذا الكلام . أولاً جعل الزبرقان من النصارى كما أوضح ذلك بين العبارة في شرح المجاني ص ١٣٥ اذ قال : « كان (الزبرقان) في الجاهلية سيداً يدين بالنصرانية وهو القائل :

نحن الملوك فلا حيّ يقاومنا فينا العلاء وفينا تنصب البيعُ

وفَدَ مع بني تميم على نبيّ المسلمين سنة ٩ هـ ٦٣١ م فاسلم بنو تميم وأجازهم محمد » اه المقصود من ايراده

والحال ان الزبرقان لم يكن هنيهةً من الزمان نصرانيًّا فلو سلمنا له ان رواية البيت « وفينا تنصب البيع » صحيحة لكان لفظ « البيع » هنا جمع بيعة بكسر الاول مثل الحِلْبة والرِّكْبة للنوع والهيئة . والمراد مبايعة الملوك وطاعتهم والمعاقدة على ولائهم والمعاهدة عليه كأن كل واحد منهما باع ما عنده من صاحبه وأعطاه خالصة نفسه وطاعته ودخيلة أمره . ومحصل معنى البيت على هذا هو : نحن الملوك والكرام أوالقروم وفي شأننا نجري عقود البيعة لا مستحق لها غيرنا . وهذا معنى يلائم ما قبله وما بعده ويمتزج معهما امتزاج الماء بالراح لا أن البيع جمع بيعة وهي كنيسة اليهود أو النصارى على ما ذكره أهل اللغة فانهُ مع عدم ملاءمتهِ للكلام منافٍ لما صرح به أهل المقالات ومن تكلم على أديان العرب . والدليل اذا طرقهُ الاحتمال بطل به الاستدلال

على ان للبيت رواية ثانية ذكرها صاحب الاغاني ٤ : ٨ وهي :

نحن الملوك فلا حي يقاربنا منا الملوك وفينا يؤخذ الربع

وفي زاد المعاد وقد ذكر القصة مفصلة في الصفحة ٤٥٢ من الجزء الثاني رواية ثالثة وهي:

نحن الكرام فلا حي يعادلنا منا الملوك وفينا يُنصب السُبُعُ

وفسر السبع انه يوم عيد من أعياد الجاهلية . فكيف يقول ان الزبرقان كان نصرانياً وأي كاتب من الكتبة الاقدمين أو المحدثين يقول بهذا القول الفج والبراهين متظافرة ومتكاتفة ومتساندة على كونهِ خالياً من دين عيسى بن مريم

والوهم الثاني الذي حاول ادخاله في المقول هو تأييد بني تميم أنهم كانوا كلهم على النصرانية . وهو يزعم ذلك في جميع ما يكتبه فقد قال في المشرق ٧ : ٦١٨ « اشتهرت (عدة قبائل) بالنصرانية قبل الهجرة كتغلب وتميم وكندة » اه . فنحن نقول : « انه لم يوجد في عهد الجاهلية قبيلة واحدة كان يدين جميع أفرادها بالنصرانية لا كندة ولا تميم ولا بكر ولا تغلب لا بل ولا غسان » . فان هذه القبائل كانت أحياء وبطوناً تعبد الاصنام أو كانت على غير النصرانية فقد بينا لك ما كانت عليه غسان من اختلاف الاديان . وهذه تغلب المشهورة بكونها نصرانية فانها لم تكن كذلك في عهد الجاهلية

أما كون بعضها كان يعبد الاصنام فهذا ما لا ريب فيه . قال ياقوت في معجمه في مادة أُوال (١ : ٣٩٥) « أُوال اسم لصنم كان لبكر بن وائل وتغلب بن وائل » اه . وكانت تغلب من ربيعة وكانت تلبية ربيعة عند وقوفها عند صنمها هذه : ليك ربنا ليك . ليك ان قصدنا اليك . وبعضهم يقول : ليك عن ربيعة . لربها مطيعة . اه عن تاريخ اليعقوبي ١ : ٢٩٦ ولم تكن الغالبة ممن كانوا يعبدون الاصنام عبادة بدون ان يعتقدوا بصحتها ولذا تراهم يحلفون بها . ومن ذلك كلام جساس حينما سأله أبوه مرة بعد قتله لكليب : « ما وراءك يا بنيّ ؟ قال : طعنت طعنة لتشغلن شيوخ وائل رقصاً . قال : أقتلت كلياً ؟ . قال : إي وأنصاب وائل وأيّ قتل » . (عن كتاب شعراء الجاهلية ١ : ١٥٥) وبهذا المعنى حلف ايضاً المهلهل أخو كليب وكان وثنياً اذ قال

كلا وأنصاب لنا عادية معبودة قد قطعت قطيعا

قال صاحب الضياء مفنداً حضرة الاب لويس شيخو وقد أجاد : « الانصاب : الاصنام أو كل ما عُبد دون الله وفسرها جامع الكتاب بانها كانت حجارة ينصبونها في الجاهلية ويُعَلّ عليها ويُذبح لغير الله تعالى . قال : وبقي منها بعضها بعد تنصّر ربيعة وكان الجهال من العرب يعبدونها . اه . وكأنهُ ظن أن هذا القول يثبت نصرانية

المهلهل ويخرجهُ من الذين كانوا يعبدون هذه الانصاب مع أن الرجل يحلف بها ويصرّح بانها « معبودة » ولا يُعقل أن أحداً يحلف بمعبود غيره اذا كان يعتقده باطلاً . وزد على ذلك أنه يقول : وأنصاب « لنا » بضمير المتكلمين فجعل نفسه في جملة أصحاب تلك الانصاب ووصفها « بالعادية » أي القديمة اثباتاً لرسوخ عبادتها في قومه وان هذه العبادة انتهت اليه عن أسلافه الاولين . ولكن الظاهر ان حضرة الاب كلما عثر على من شكَّ في دينه أو جُبل أمره عده نصرانياً تكثراً بالباطل وتبجحاً بما ليس وراءه طائل » اه (الضياء ٥ : ٢١٨)

ثم أيجهل حضرة الاب ان من التغالبة من اتبع سجاح بنت الحارث بن سويد ابن عقفان المتنبئة فليراجع الطبري ١ : ١٩١١ يرَ انهم تركوا التنصر مع رئيسهم المذيل ابن عمران وانضووا اليها. وعليه فلم تكن كل تغلب نصارى الباقي للآتي

بغداد أحد القراء

تسامح العظماء

تابع ماقبله

اتصل ثابت بن قرة الحراني بالمعتضد وأدخله في جملة المنجمين وأقطعه ضياعاً جميلة وكان يجلسه بين يديه كثيراً بحضرة الخاص والعام ويكون بدر الامير قائماً والوزير وهو جالس بين يدي الخليفة . قال ابو اسحق الصابي وهو ممن حظي عند الامراء ايضاً : ان ثابتاً كان يمشي مع المعتضد في الفردوس وهو بستان في دار الخليفة للرياضة وكان المعتضد قد اتكأ على يد ثابت وهما يتماشيان ثم نثر المعتضد يده من يد ثابت بشدة ففزع ثابت فان المعتضد كان مهيباً جداً فلما نثر يده من يد ثابت قال له: يا ابا الحسن وكان في الخلوات يكنيه وفي الملاء يسميه سهوت ووضعت يدي على يدك واستندت

عليها وليس هكذا يجب ان يكون فان العلماء يعلمون ولا يعلمون

وكان سنان بن ثابت بن قرة في خدمة المقتدر بالله والقاهر وخدم ايضاً بصناعة الطب الراضي بالله . وكان ابنه ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة في خدمة الراضي بالله ايضاً وخدم بصناعة الطب المتقي بن المقتدر بالله والمستكفي بالله والمطيع لله . واتصل ابو الحسن الحراني ثابت بن ابراهيم بن زهرون بعضد الدولة وكان له منه الجاري السني . وكان غالب طيب المعتضد بالله وكان أولاً عند الموفق طلحة بن المتوكل وارتضع سائر أولاد المتوكل من لبن اولاد غالب فكان يبرُّ بهم فلما تمكن الموفق من الامر أقطعه ونوّله وأغناه وكان له مثل الوالد وعالج الموفق من سهم كان اصابه في ثندوته وبرأ فأعطاه مالاً كثيراً وأقطعه وخلع عليه وقال لغلمانه من اراد اكرامي فليكرمه وليصل غالباً فوجّه اليه مسرور بعشرة آلاف دينار ومائة ثوب ووجه اليه سائر الغلمان مثل ذلك وصار اليه مال عظيم ولما قبض على صاعد وعبدون أخذ لعبدون عدة غلمان نصارى مماليك فمن اسلم منهم اجري له رزق وترك ومن لم يسلم منهم بعثه الى غالب وكان عدد من أنفذ اليه سبعين غلاماً أزمة وغيرها فلما ورد عليه معهم رسول من قبل الحاجب قال غالب : أيُّ شيء أعمل بهؤلاء ؟ وركب من وقته الى الموفق فقال : هؤلاء يستغرقون مال ضيعتي مع رزقي . فضحك الموفق وتقدم الى اسمعيل زيادة في اقطاعه الحرسيات وكانت ضياعاً جليلة تغل سبعة آلاف دينار وأوعدها له بخمسين الف درهم في السنة وبعد الموفق طلحة خدم لولده المعتضد بالله ابي العباس احمد وكان مكيناً عنده حظياً في ايامه وكان المعتضد يحسن الظن به ويعتمد على مداواته

وخدم ابو عثمان سعيد بن غالب المعتضد بالله بصناعة الطب وحظي عنده وكان كثير الاحسان اليه والانعام عليه . وعوّل الملوك على صاعد بن بشر في العلاج ولطالما حصل له مال عظيم وحشمه الخلينة ووزيره وزكاه وقدمه على جميع من كان في زمانه . وكذلك ديلم داود بن ديلم خدم هذا المعتضد بالله في الطب وخصّ به فكانت التوقيعات تخرج بخط ابن ديلم لمحله منه ومكانته وكان يتردد الى دور المعتضد وله منه الاحسان الكثير والانعام الوافر . ومنهم ابو عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقي كان منقطعاً الى الوزير علي بن عيسى . ومنهم عيسى طيب القاهر كان عمدته وركن اليه ويفضي اليه باسراره . وكان اسحق بن شليطا خادماً بالطب للمطيع لله . وفنون المتطبب كان يختص بخدمة بختيار ويكرمه ويعده امراً عظيماً . ونظيف القس الرومي استخدمه عضد الدولة في البيمارستان الذي انشأه ببغداد وخلع عليه خلعاً سنية . وكذلك ابو غالب بن صفية تقدم في زمن المستنجد بالله والمستضيء بأمر الله . وكذلك امير الدولة بن التلميذ من رجال المستضيء بامر الله ويلفت به الأنفة والغنى انه كان لا يقبل عطية الا من خليفة أو سلطان ، مدحه السيد النقيب الكامل بن الشريف الجليل والشريف ابو يعلى محمد بن المهارية العباسي بقصيدتين غراوين وذكرا افضاله وكماله كما مدح الشريف الرضي ابا اسحق الصابي كثيراً وكانت بينهما مودة اكيدة . وكذلك مدحه الطغرائي وابن جكينا وغيرهما كما مدح الشريف ابن المهارية ابا الفرج يحيى ابن صاعد بن التلميذ من أسرة امير الدولة وكان له « جماعة من الانساب كل منهم متعلق بالفضائل والآداب »

ومنهم اوحد الزمان أبو البركات هبة الله بن علي بن ملكا البلدي اليهودي كان في خدمة المستنجد بالله . ومنهم ابو الخير المسيحي طبيب الناصر لدين الله . وابن نصر بن المسيحي حظيَ أيضاً امره هذا الخليفة عقيب برئه من مرض على يده ان يدخل دار الضرب ويحمل من الذهب معها قدر أن يحمله ففعل به ذلك ثم أتته الخلع والدنانير من أمّ الخليفة ومن ولديه الاميرين محمد وعلي والوزير نصير الدين أبي الحسن بن مهدي العلوي الرازي ومن سائر كبار الامراء بالدولة فحصل من العين الدنانير عشرين ألف دينار ومن الثياب والخلع جملة وافرة وألزم الخدمة وفرضت له الجامكية السنية والراتب والاقامة . وكان ابو الفرج صاعد بن هبة الله ابن توما طبيب نجم الدولة ابي اليمن نجاح الشرابي وارتقت به الحال الى ان صار وزيره وكاتبه ثم دخل الى الناصر وكان يشارك من يحضر من أطبائه في اوقات امراضه ثم حظي عنده الحظوة التامة وسلم اليه عدة جهات يخدم بها وكان بين يديه فيها عدة دواوين وكتّاب قال ابن القفطي : انه كان بمنزلة الوزراء واستوثقه الناصر على حفظ اموال خواصه وكان يودعها عنده ويرسله في أمور خفية الى وزرائه ويظهر له في كل وقت

وخدم ابو الحسين صاعد بن هبة الله بن المؤمل المسيحي بالدار العزيزة الناصرية الامامية وتقرب قرباً كثيراً . وكسب بخدمته وصحبته الاموال وكانت له الحرمة الوافرة والجاه العظيم . ووصل ابو الحسن بن سوار المعروف بابن الخمار بالطب الى ان قبل له محمود الملك الارض وكان الملك محمود عظيماً جداً . وتقدم ابو سهل المسيحي عند سلطان خراسان . وأجرى

الرشيد على منكه الهندي رزقاً واسعاً وأموالاً كافية . وخدم اسحق بن سليمان الاسرائيلي الامام ابا محمد عبيد الله المهدي صاحب إفريقية بصناعة الطب . وكان يحيى بن اسحق الطبيب في صدر دولة عبد الرحمن الناصر لدين الله الاندلسي واستوزره وولي الولايات والعمالات وكان قائد بطليوس زماناً وكان له من الناصر محل كبير كان ينزله منزلة الثقة ويتطلع على الكرائم والخدم . وهرون بن موسى الاشبوني خدم الناصر والمستنصر بصناعة الطب واسحق بن قسطار من أحبار اليهود خدم بالطب الموفق مجاهداً العامري وابنه اقبال الدولة علياً . وحسداي بن اسحق من أحبار اليهود ايضاً خدم بالطب الحكم بن عبد الرحمن الناصر لدين الله . وكان ابن بكلارش يهودياً من اكابر علماء الاندلس في صناعة الطب وخدم بها بني هود

وحظي بليطيان الطبيب بطريرك الاسكندرية على النصارى الملكية في أيام الرشيد ووهب له مالاً كثيراً وكتب له منشوراً في كل كنيسة في يد اليعقوبية مما أخذوها وتغلبوا عليها ان ترد اليه فرجع بليطيان الى مصر واسترد من اليعقوبية كنائس كثيرة . وخدم ابراهيم بن عيسى بالطب الامير احمد بن طولون وكذلك سعيد بن توفيل . وكان اسحق بن ابراهيم بن نسطاس في خدمة الحاكم بامر الله ويعتمد عليه في الطب . وكان موسى ابن العازار في خدمة المعز لدين الله العلوي وكان في خدمته ايضاً ابنه اسحق بن موسى المتطبب وكان جليل القدر عند المعز ومتولياً أمره واغتم المعز لموت اسحق لموضعه منه ولكفايته وجعل موضعه اخاه اسمعيل بن موسى وابنه يعقوب بن اسحق . وكان ابو الفتح منصور بن سهلان بن

مقشر طبيب الحاكم بامر الله ومن الخواص عنده وكان العزيز ايضاً يستطبه ويرى له ويحترمه وكان متقدماً في الدولة الفاطمية . وكان الحقير النافع من أطباء الحاكم الخاص وكان ابن مقشر مكيناً في الدولة الفاطمية حظياً عند الحاكم بلغ منه أعلى المنازل وأسناها وكان له منه الصلات الكثيرة والعطايا العظيمة ولما مرض ابن المقشر عاده الحاكم بنفسه واطلق لمخلفه مالاً وافراً

وخدم أفرائيم بن الزفان الخلفاء الذين كان في زمانهم بمصر وحصل من جهتهم من الاموال والنعم شيئاً كثيراً . وكان ابن جميع الاسرائيلي من أطباء الملك الناصر صلاح الدين وحظي في أيامه وكان رفيع المنزلة عنده عالي القدر نافذ الامر يعتمد عليه في صناعة الطب . وخدم ابو البيان بن المدور الخلفاء المصريين في آخر دولتهم ثم خدم صلاح الدين يوسف وكان يرى له ويعتمد على معالجته وله منه الجامكية الكثيرة والافتقاد المتوفر وتعطل في آخر عمره من الكبر والضعف فاطلق له الناصر في كل شهر أربعة وعشرين ديناراً مصرية تصل اليه ويكون ملازماً لبيته ولا يكلفه خدمة وبقي على تلك الحال وجامكيته تصل اليه نحو عشرين سنة . وكان الرئيس بن هبة الله الاسرائيلي من خدمة الخلفاء المصريين بالطب وكانت له منهم الجامكية الوافرة والصلات المتوالية . وخدم الموفق بن شوعة الاسرائيلي الملك الناصر بالطب لما كان بمصر وعلت منزلته عنده . وممن حظي في أيام هذا ايضاً وأيام أخيه الملك العادل ابي بكر بن أيوب ابو المعالي بن تمام اليهودي . وكان السلطان صلاح الدين ايضاً يرى لابي عمران الرئيس موسى الاسرائيلي ويستطبه وكذلك ولده الافضل علي وهو الذي يمدحه القاضي

السعيد بن سناء الملك بقوله :

أرى طب جالينوس للجسم وحده وطب أبي عمران للعقل والجسم
فلو انه طب الزمان بعلمه لابراه من داء الجهالة بالعلم
ولو كان بدر التم من يستطبه لتم له ما يدعيه من التم
وداواه يوم التم من كلف به وأبرأه يوم السرار من السقم

وكان ابراهيم بن الرئيس موسى في خدمة الملك الكامل محمد بن ابي بكر بن ايوب . وكان ابو سليمان داود بن ابي المنى بن ابي فانة الطيب حظياً عند خلفاء مصر . وكذلك ابنه ابو سعيد بن ابي سليمان جعله الملك العادل في خدمة ولده الملك المعظم واكرمه غاية الاكرام وأمر أن لا يدخل قلعة من قلاعه الا راكباً مع صحة جسمه فكان يدخل في قلاعه الاربعة كذلك وهي قلعة الكرك وقلعة جعبر وقلعة الرها وقلعة دمشق . وخدم أبو سعيد بالطب ايضا الملك الناصر والملك العادل . وكان ابو شاكر بن ابي سليمان مكيناً عند السلاطين جعله الملك العادل في خدمة ولده الملك الكامل فبقي في خدمته وحظي عنده الحظوة العظيمة وتمكن عنده التمكين الكثير ونال في دولته حظاً عظيماً وكانت له منه اقطاعات ضياع وغيرها ولم يزل يعتقده بالهبات الوافرة وكان الملك العادل يعتمد عليه وكان يدخل في جميع قلاعه وهو راكب . وكان ابو الفضل بن ابي سليمان طبيباً للملك المعظم في الكرك ثم خدم الملك الكامل . وكان عيسى الرقي ا ف بالتفليسي في خدمة سيف الدولة بن حمدان يأخذ أربعة ارزاق رزقاً بسبب الطب ورزقاً بسبب النقل ورزقين بسبب علمين آخرين . وأنعم صلاح الدين على سكرة

الحلبي المتطبب وخلع عليه وأقطعه اراضي مؤبدةً

وخدم موفق الدين بن المطران بالطب الملك الناصر صلاح الدين ويحظي في ايامه وكان رفيع المنزلة عندهُ عظيم الجاه وكان يحجب عندهُ ويقضي اشغال الناس ونال من جهته من المال مبلغًا كثيراً قال ابو الظاهر اسمعيل وكان يعرف ابن المطران ويأنس به : ان العُجب والكبر الذي كان يغلب على ابن المطران لم يكن على شيء منه في اوقات طلبه العلم وقال انه كان يراهُ في الاوقات التي يشتغل فيها بالنحو في الجامع يأتي اذا تفرغ من دار السلطان وهو في ركبة حفلة وحواليهِ جماعة كثيرة من المماليك الترك وغيرهم فاذا قرب من الجامع ترجل وأخذ الكتاب الذي يشتغل فيه في يدهِ أو تحت ابطهِ ولم يترك احداً من الغلمان يصحبه ولا يزال ماشياً والكتاب معه الى حلقة الشيخ الذي يقرأ عليه فيسلم عليه ويقعد بين الجماعة وهو بكيس ولطف الى ان يفرغ من القراءة ويعود الى ما كان عليهِ ثم انه اسلم فزوجه صلاح الدين احدى حظايا داره وترقت حاله عند سلطانه الى ان كاد يكون وزيراً وحصلت له اموال جمة من أمراء الدولة في حال مباشرته لهم في امراضهم وتنافسوا في العطاء له

وممن خدم صلاح الدين ايضاً بالطب ابو منصور النصراني وابو النجم النصراني وابو الفرج النصراني وخدم هذا الملك الافضل نور الدين علي بن صلاح الدين ثم صار أولاده خدمة اولاد الملك الافضل. وخدم ابو الحجاج يوسف الاسرائيلي بالطب الملك الظاهر غازي بن الملك الناصر صلاح الدين وكان يعتمد عليه وخدم ايضاً الامير فارس الدين ميمون القصري . وكان

عمران الاسرائيلي حظياً عند الملوك واعتمدوا عليه ونال من جهتهم الاموال الجسيمة والنعم التي تفوق الوصف ولم يخدم احداً من الملوك في الصحبة ولا يقيد معهم في السفر وحرص به الملك العادل بان يستخدمه في الصحبة فما فعل وكذلك غيره من الملوك

وكان موفق الدين يعقوب المسيحي خدم الملك المعظم عيسى وصار معه في الصحبة وكان حسن الاعتقاد فيه حتى انه كان يعتمد عليه في كثير من الآراء الطبية وغيرها فينتفع بها ويحمد عواقبها وقصد الملك المعظم ان يوليه بعض تدبير دولته والنظر في ذلك فما فعل واقتصر على مداومة صناعة الطب فقط وكان قد عرض للحكيم يعقوب في رجليه نقرس وكان يثور به في اوقات ويألم بسببه وتعسر عليه الحركة فكان الملك المعظم يستصحبه في أسفاره معه في محفة ويفتقده ويكرمهُ غاية الاكرام وله منه الجامكية السنية والاحسان الوافر

وخدم صدقة السامري بالطب الملك الاشرف موسى بن الملك العادل أبي بكر بن ايوب وبقي معه سنين كثيرة في الشرق وكان يحترمهُ غاية الاحترام ويكرمهُ كل الاكرام ويعتمد عليه وله منه الجامكية الوافرة والصلات المتواترة . وكان مهذب الدين يوسف بن أبي سعيد السامري شمس الحكماء في خدمة الملك الناصر صلاح الدين وخدم ايضاً لعز الدين فرخشاه بن شاهان شاه بن أيوب وخدم بعده لولده الملك الامجد مجد الدين بهرام شاه وحظي في ايامه ونال من جهتهِ من الاموال والنعم شيئاً كثيراً وكان يستشيره في أموره ويعتمد عليه في احواله

هكذا كان عظماء الاسلام يعاملون أهل ذمتهم من نصراني ويهودي وسامري ومجوسي يبوحون لهم بأسرارهم ويطلعونهم على خُويصة انفسهم ويوسدون اليهم مهمات أمورهم ويأمنونهم على حرمهم وأرواحهم ويعدقون عليهم هباتهم واحساناتهم ويرفعون منزلتهم ومكانتهم لا ينظرون في ذلك الى نحلة ولا مذهب ولا يعتدون بمخالف ولا بموافق بل يتدبرون الكفاآت ويختارون الاصلح والانسب وقد قابل أولئك المقربون ساداتهم بصنوف الامانة وخدموهم فأحسنوا خدمتهم وقلما خان منهم الا بعض افراد فسدت فِطَرُهم واختلت عقولهم واحلامهم وضلوا عن سواء السبيل

حكم وخواطر

من ترك شغله للوكلاء ضاع عليه النصف اذا ربح ودفع من ماله الضعف اذا خسر

ما احتاج انسان مداجاة اعدائه الا من فسولة أصدقائه

كما لا ترجو صداقة الكذّاب فلا ترجُ صداقة الجبان لان الكذب والجبن أخوان أبوهما الضعف

أدلُّ الدلائل على حماقة المرء جمع الضدين على بغضه والصادق الحكيم يجمع الاضداد على حبه

اكثر ما تكون المواعظ كالخزف الصيني في البيوت تُحفظ ولا تستعمل

خمود الهمم عند اشتعال اللمم

انما آثر الناس العدو العاقل لا لانه لا يضر بل لانه أبلغ في الضرر

وأخفُّ في الالم فهو كالسيف الماضي يقطع ولا يؤلم أما العدو الجاهل فهو سيف كليل لا يقط الرقاب ولا يُريح من العذاب

لا يقدر على احتمال رفعة الادنياء الا الفيلسوف الذي تساوت عنده الاشياء

يُظنُّ الكريم قليل الانانية والحال انه أشد حباً لنفسه حيث آثرها على المال، ويُظنُّ اللئيم محباً لذاته والحال انه عدوٌّ نفسه اذ أسقطها في مساوىء الاعمال، وان سموأل الوفاء أشد إثرة من كل انكليزي على وجه الارض لانه سمح بحياة ابنه لاجل حياة اسمه

اذا خاف الانسان غائلة عدوّ متكبر أنامه بموفين التفريظ

لا تظننَّ محالاً عداوة محب مهما اشتدَّ كلفه ولا محبة عدوّ مهما تناهى شنآنه فان الزوجين يكونان جسماً واحداً ويقع بينهما الطلاق وان في مخازن الغيوب ما لا يخطر على القلوب

ان لم تلن دمامل الفتن بمراهم المراحم لم ينجع فيها الا المبضع الصارم لكن لا خير في عنف لم يتقدمه لطف

يتّقى الخراب الكبير بالاضطراب الصغير وكلاهما من البلاء كما يتّقى المرض الثقيل بالتلقيح الخفيف وكلاهما من الداء

العقل بلا قلب نورٌ بلا حرارة

لذةُ الخيال أقوى من لذة الواقع لذلك المجاز أوقع من الحقيقة

القليلُ من الخبيث يفسد الكثير من الطيب كما ان الملح الكحل من الآجن يُفسد ذوق مائة مثله من العذب الفرات

قوّة الارادة من قوّة الكهرباء لانه متى امتلأت الارادة جذبت

المقاصد البعيدة بدون سلك ظاهر

اذا تلبدت غيوم الغموم لم ينشرها مثل تموّجات الهواء ، بأن الغناء الطبيعة مثال ، والشاعر مصوّر ، وأحسن الشعراء توليداً ، أجودهم للطبيعة تقليداً

يكاد الشعراء يكونون صوفية لان المعنى واحد والصور مختلفات كما ان الوجود واحد والتعدد للجهات

من دلائل أن الحياة خيال لذة الانسان بالاماني وان علمها كواذب ، ولهوه بالتصوّرات ولوكانت محالات ، وبكاؤه بالدموع في قراءة قصص موضوع

لا تخالنّ المستغرق في فنّ قاصر نظرهُ عليه أبصر به من سواه ممن ينظر في متعدد الامور لان تنوّع الموضوعات في ذهن الانسان يوسّع دائرة العقل ويسدّد مرامي الحكم

ينبغي أن تدقق في اختيار صديقك كما تدقق في اختيار امرأتك اذ كما يجب للناس أن يتخيروا لنطفهم كذلك يجب أن يتخيروا لمرؤاتهم

خيرٌ للمرء أن يكون خصياً من أن يلد عاقاً عصياً

لا يرد على الاكباد شيء كزكاء ثمراتها

التقبيل ضريبة الحسن ، والمشورة ضريبة الذكاء ، والجود ضريبة اليسار ، والنجدة ضريبة البأس ، ولا يمنع الضرائب الا العاصي على الله والناس

اذا أوصيت بامريء ولم يرجع اليك فاعلم أن حاجتهُ قد انقضت لان اكثر المراجعة يقع استنجازاً للحاجة ونادراً يقع شكراً على النعمة

كذب الكبير يسمى سياسة

يستدلُّ بسيادة الغرباء في بلاد على انحلال العصبية اكثر مما يستدل بها على الاخلاق الرضيَّة

المملكة جسمٌ والاجنبيُّ ميكروب ولا يرعى الميكروب من الجسم الا مواطن الضعف

قلوب العشاق أقدم من تلغراف ما ركوني

العصر الجديد هو عصر الحديد والفناء الأقوى بالفناء الأحوى (الفحم الحجري)

لوردَّ الناس كلام الكذابين بحذافيره لالتزموا الصدق وانما روَّج بضاعة الافك انه معما اشتهر به الانسان فلا يزال يلصق منه بالاذهان

خير لمن لم يُصِب طَهور العلم ان يتيم بالتقليد

ما أجدر العائلة بنقطة

كم وجهٍ أبيض منه بلاء ازرق وفرع اسود منه موت أحمر

اكثر الناس استعداداً لعداوتك من قام من تحت سلطتك لأنه يريد ان يقوم بقدر ما نام ولأن سواد الليالي متعادل مع بياض الأيام

قد لا يكون الامام تقياً وتصحُّ الصلاة اذا راعت الجماعة وشرطها وقد لا يكون الوالي عادلاً وتمشي العدالة اذا عرفت الرعيَّة قوانينها

الحسد نارٌ في الفؤاد يبردها بعضهم بالتنقُّص ويلقي عليه اسم الانتقاد

الوالي الظالم خائن للسلطان في أمانته فجزاؤه جزاء الخائنين

« جهنم بالعز أطيب منزل » أبلغ بيت الا في مقام الهوى

قد تذهب الحقوق ضحيَّة الخلابة وقد تأكل المتاع نار الذرابة وقد تختفي

الحقائق بين هدرات الشقاشق ولكن ذو البصر يميز بين الغث والسمين ودريفوس يتبرأ ولو بعد سنين

من كان مرمى نقده الاصلاح العام لم يخف ذلك من أسلوبه والناس اكيس من ان لا يفرقوا بين الحاسد والناصح

احذر من هو دونك في العداوة اكثر من حذرك ممن هو كفؤك لان الكفؤ يأنف ان يقاتلك الا بسلاحك ولا يأخذك غيلة أما الدون فانه يأخذك كيفما استطاع ولا يرى في ذلك غضاضة

كانت الفتوحات أولاً بالسيف فصارت اليوم بالدين فهي لا تزال بين الاحمرين

لا تُجتاز عقبة بدون جُهد سواء النازل فيها والطالع

متى ثارت القبائل وهاج هائج التعصب على الاجانب فاعلم ان في تلك الجهة معدناً أعجب المهندسين أو ان شركة تألفت لاستثمار بعض الاراضين

أجدر المصابين بالشماتة قومٌ لم يزالوا يتحاملون على ولاتهم العقلاء حتى ابتلاهم الله بولاية المجانين

اذا اهتدى المغول الى معارف الافرنج فالصين قد صين

لا بد من يوم أسود بين الاصفر والابيض

السياسة في أيامنا هي فوق الديانة لانه اذا تعارض العقل والنقل أُوِّل النقل حتى يطابق العقل أما السياسة فلا تقبل التأويل أيّاً كان مصادمها

بيروت شكيب ارسلان

العالم شعر

قرأت وما غير الطبيعة من سفر ... صحائف تحوي كل فن من الشعر
أرى غرر الاشعار تبدو نضيدةً ... على صفحات الكون سطراً على سطر
وما حادثات الدهر الا قصائد ... يفوه بها للسامعين فم الدهر
وما المرء الا بيت شعر عروضه ... مصائب لكن ضربه حفرة القبر
نظمنا الايام شعراً وانما ... ترد المنايا ما نظمن الى النثر
فمنا طويل مسهب بحر عمره ... ومنا قصير البحر مختصر العمر
وهذا مديح صيغ من اطيب الثنا ... وذاك هجاء صيغ من منطق هُجر

***

ورب نيام في المقابر زرتهم ... بمنهل دمع لا ينهنه بالزجر
وقفت على الاجداث وقفة عاشق ... بقفراء يدعو دراس الطلل القفر
فما سال فيض الدمع حتى قرنته ... الى زفرات قد تصاعدن من صدري
أسكان بطن الارض هلا ذكرتم ... عهوداً مضت منكم وانتم على الظهر
رضيتم باكفان البلى حللاً لكم ... وكنتم أولي الديباج والحلل الحمر
وقد كنتم تؤذي الحشايا جنوبكم ... فكيف رقدتم والجنوب على العفر
ألا يا قبوراً زرتها غير عارف ... بباساكن الصحراء من ساكن القصر
لقد حار فكري في ذويك وانه ... ليحتار في مثوى ذويك أولو الفكر
فقلت وللاجداث كفي مشيرة ... ألا ان هذا الشعر من أفجع الشعر

***

وليل غدافي الجناحين بته ... اسامر في ظلمائه واقع النسر
واقلع من سفن الخيال مراسياً ... فتجري من الظلماء في لجج خضر
أرى القبة الزرقاء فوقي كأنها ... رواق من الديباج رصع بالدر
ولولا خروق في الدجى من نجومه ... قبضت على الظلماء بالانمل العشر
خليليّ ما أبهى وابهج في الرؤى ... نجوماً باجواز الدجى لم تزل تسري
اذا ما نجوم الغرب ليلاً تغورت ... بدت أنجم في الشرق اخرى على الاثر
تجولت من حسن الكواكب في الدجى ... وقبح ظلام الليل في العرف والنكر
الى ان رأيت الليل ولت جنوده ... على الدهم يقفو اثرها الضبح بالشقر
فيا لك من ليلى قرأت بوجهه ... نظيم البها في نثر انجمه الزهر
وقلت وطرفي شاخص لنجومه ... ألا ان هذا الشعر من أحسن الشعر

***

ويوم به استيقظت من هجعة الكرى ... وقد قد درع الليل صمصامة الفجر
فاطربني والديك مشج صياحه ... ترنم عصفور يزقزق في وكر
ومما ازدهى نفسي وزاد ارتياحها ... هبوب نسيم تجتج طيب النشر
فقمت وقام الناس كلٌّ لشأنه ... كأنا حجيج البيت في ساعة النفر
وقد طلعت شمس النهار كأنها ... مليك من الاضواء في عسكر مجر
بدت من وراء الافق ترفل للعلى ... رويداً رويداً في غلائلها الحمر
غدت ترسل الانوار حتى كأنها ... تسيل على وجه الثرى ذائب التبر
الى ان جلت في نورها رونق الضحى ... صقيلاً وفي بحر الفضاء غدت تجري
وأهدت حياة في الشعاع جديدة ... الى حيوان الارض والنبت والزهر

فقلت مشيراً نحوها بخفاوة ألا ان هذا الشعر من أبدع الشعر

***

وبيضة خدر ازدعت نازح الهوى أجاب ألا لبيكِ يا بيضة الخدر
من اللاء يملكن القلوب بكلمة ويحيين ميت الوجد بالنظر الشزر
تهادت ترى البدر محدقةً بها أوانس أحداق الكواكب بالبدر
فلله ما قد هجن لي من صبابة الفت بها طيّ الضلوع على الجمر
تصافح احداهن في المشي تربها فتحر الى نحر وخصر الى خصر
مررت وقد اقصرت خطوي تأدباً وأجمعت أمري في محافظة الصبر
فطأطأنَ للتسليم منهنَّ أرؤسا عليها أكاليل ضفرنَ من الشعر
فالقيت كفي فوق صدري مسلّما وأطرقت نحو الارض منحني الظهر
وأرسلت قلبي خلفهن مشيّعا فراح ولم يرجع الى حيث لا أدري
وقلت وكفي نحوهن مشيرة ألا ان هذا الشعر من أجمل الشعر

***

ومائدة نسجُ الدمقس غطاؤها بمجلس شبان همُ أنجم العصر
رقى من أعاليها الفنراف منبراً محاطاً باصحاب غطارفة غُر
وفي وسط النادي سراج منور فتحسبه بدراً وهم هالة البدر
فراح باذن العلم ينطق مقولاً عرفنا به ان البيان من السحر
فطوراً خطيباً يحزن القلب وعظه وطوراً يسرّ السمع بالعزف والزمر
يفوه فصيحاً باللغا وهو أبكم ويسمع ألحان الغنا وهو ذو وقر
أمين أبي التدليس في القول حاكياً فتسمعه يروي الحديث كما يجري

تراه اذا لقنته القول حافظاً ... تمر الليالي وهو منه على ذُكر
فيا لك من صنع به كل عاقل ... أقر لآديسون بالفضل والنخر
فقلت وقد تمت شقاشق هدره ... الا ان هذا الشعر من أعجب الشعر

***

وأصيد مأثور المكارم في الورى ... يريك اذا يلقاك وجه فتى حر
يروح ويغدو في طيالسة الغنى ... ويقضي حقوق المجد من ماله الوفر
تخونه ريب الزمان فأولعت ... باخلاقها دباجتيه يد الفقر
فاصبح في طرق التصعلك حائراً ... يجول من الاملاق في سَمَل طمر
كأن لم يرح في موكب العز راكبا ... عتاق المذاكي مالك النهي والأمر
ولم تزدحم صيد الرجال ببابه ... ولم يغمر العافين بالنائل الغمر
فظل كئيب النفس ينظر للغنى ... بعين مقل كان في عيشة المثري
الى ان قضى في علة العدم نحبه ... فجهزه من مالهم طالبو الاجر
فرحتُ ولم يُحفل بتشييع نعشه ... أشيعه في حامليه الى القبر
وقلت وأيدي الناس تحثو ترابه ... ألا ان هذا الشعر من أحزن الشعر

***

ونائحة تبكي الغداة وحيدها ... بشجو وقد نالته ظلماً يد القهر
عزاه الى احدى الجنايات حاكم ... عليه قضى بطلاً بها وهو لا يدري
فويل له من حاكم صبَّ قلبه ... من الجور مطبوعاً على قالب الغدر
من الروم أما وجهه فمشوّه ... وقاح وأما قلبه فمن الصخر
أضرَّ بعف الذيل حتى أمضَّه ... ولم يلتفت منه الى واضح العذر

تخطفه في مخلب الجور غيلةً ... فزجَّ به من مظلم السجن في القعر
تنوء به الاقياد ان رام نهضة ... فيشكو الاذى والدمع من عينه يجري
تناديه والسجان يكثر زجرها ... عجوز له من خلف عالية الجُدُر
بُنيَّ أظن السجن مسَّك ضره ... بُنيَّ بنفسي حلَّ ما بك من ضر
بُنيَّ استعن بالصبر ما أنت جانياً ... وهل يخذل الله البريء من الوزر
فجُنَّت أعاطيها العزاء وأدمعي ... كأدمعها تنهلّ مني على النحر
وقلت وقد جاشت غوارب عبرتي ... ألا ان هذا الشعر من أفتل الشعر

بغداد — معروف الرصافي

الشرق في الغرب

من مقالة للسير لوسين بوغا في مجلة العالم الاسلامي

عُني اهل المجر وهم من اصل آسياوي وبلادهم على أبواب الشرق بالمباحث الشرقية عناية كبرى على ما هو مأثور عنهم من التوفر على خدمة العلم. وما زالوا منذ قرون كثيرة جيران شعب مسلم يتحدون معه في الاصول وان اختلفوا في الفروع ويتكلمون لغة تكاد تشبه لغته ولذلك رأوا من الواجب عليهم ان يتمحضوا لدراسة الموضوعات الاسلامية

قام منذ سبعين سنة رجل عالم غيور منهم اسمه كوسما كوروس فزار آسيا ليبحث فيها عن اصل الامة المجرية. وتاريخ حياة هذا الرجل يشبه تاريخ أرمنيوس فمبري في كثير من أدواره. لم يرَ كوروس حرجاً في دخول دير للبوذيين في بلاد التبت بصفة كاهن رجاء الوقوف على احوال شعوب

آسيا الوسطى ولم يخرج من الاخذ عن علماء بوذيين

ثم قام فمبري الذي طاف آسيا الوسطى لابساً ثياب درويش والاستاذ غولدسير الذي طلب العلم في الازهر. وكان من اعمال هؤلاء الرجال اكبر مجدلا متهم في خلال القرن التاسع عشر. وما برح علماء المجر يقصدون الهند الواحد تلو الآخر يبحثون في علومها وتاريخها واديانها ومنهم اليوم أورل ستين نزيل آسيا الوسطى الذي عرفت الحكومة الانكليزية ان تنتفع من مباحثه في شمالي الهند وبلوجستان وأتى بفوائد جمة

ومما لا مشاحة فيه ان رؤساء هذه المباحث اليوم في بلاد المجر هما الاستاذان فمبري وغولدسير من اساتذة كلية بودابست وقد اختص الاول بتعلم اللغة التركية حتى اتقنها اتقانه للغته وخدمها أجل خدمة وانصرف الثاني الى دراسة العربية واللغات السامية

ولد فمبري سنة ١٨٣١ أو ١٨٣٢ من أسرة يهودية فقيرة في بلاد المجر في قرية سان جيورجين وبعد ان تلقن مبادىء التعليم في قريته أخذ في تعلم العبرية والدين ثم انتقل الى مدرسة برتستانتية فتعلم فيها اللغة المجرية واللاتينية ومنها دخل مدرسة أخرى رومية ثم مدرسة كاثوليكية

ولما أتم دروسه كان قد أتى على آخر ما يملك من الدراهم فاضطرته الحال الى ان يعلم اطفالاً براتب ١٥٠ فلورينياً عند أسرة اسرائيلية في بلدة مارينتال وانتقل بعد الى التدريس براتب اكثر في بيت أسرة في قرية كوتيفو من أعمال سلافونيا. فترك مقامه في هذه القرية أجل أثر في نفسه لانه تجلى له فيها السبيل الذي يتحتم عليه سلوكه في حياته العلمية. ففيها عقد

العزم على ان يكون عالماً باللغات وفيها شرع لاول امره بتعلم التركية وبالنظر في المباحث التي أطارت شهرته في العلم وفيها درس التركية والفرنسية والانكليزية والايطالية والاسبانية والدانيركية والسويدية

واذ رأى ان ينصرف الى البحث في احوال الشرق نزل عاصمة فينا يستنصح العالم دي هامير الذي نشطه على ما هو آخذ نفسه في سبيله فذهب الى بودابست يتعلم فيها العربية والفارسية . وقضت عليه الحاجة في هذه المدينة ايضاً ان يكون مؤدباً ليسد بما يناله من الاجر بعض حاجته ولما كانت نفسه تنزع به الى رؤية الشرق لم يعتم عند ما اقتصد ١٢٠ فلورياً ان سافر الى الاستانة

وصف فمبري هذه العاصمة عقيب حرب القريم سنة ١٨٥٧ فقال ان شُذَّاذ الآفاق كانوا ينهالون عليها من كل صوب واوب والعثمانيون لا يكادون يعبأون بكل وارد عليهم بيد انهم تلقوا المترجم بالعطف وعاملوه بالاحسان فكان لما بلغ الاستانة لا يملك الا دريهمات وصادف صعوبات جمة لاول أمره لكنه تمكن من التغلب عليها بمساعدة احد مواطنيه ممن انخرطوا في خدمة الدولة العثمانية وأعني به القائد كمتي الذي دُعي بعد باسم اسمعيل باشا فسمي له هذا بوظيفة معلم عند اسرة في بك اوغلي ومن ذلك الحين دخل على ناظر الخارجية رفعت باشا بصفة استاذ وأخذ فمبري يتشبه بالعثمانيين في أطواره ومناحيه عملاً بنصائح وطنيه اسمعيل باشا ومجاراةً له فدعا نفسه رشيد افندي وأخذ يتعرف الى اهل الطبقة العليا في الاستانة على ذلك العهد ويختلط بهم ويعاشرهم . وفي خلال ذلك ايضاً بدأ يشتغل في الصحافة

فعين مراسلاً لاحدى الجرائد الالمانية الكبرى

أصبح فمبري « أفندياً » بحتاً لا ينقص عن أدباء الاستانة في معرفة اللغة التركية وآدابها . ولكنه لم يقنع بما حصل له من ذلك بل طمحت به نفسه الى زيارة آسيا الوسطى وهي البلاد التي قام منها الاتراك وهاجروا أوربا ليتيسر له ان يسمع اللغة التركية الاصلية في موطنها تلك اللغة التي لطُفَت فكانت منها اللغة العثمانية اليوم

وكانت الصعوبات التي تحول دون هذه الامنية كثيرة الا ان الاستاذ فمبري لم يبالِ بالمصاعب . وغادر الاستانة بمساعدة المجمع العلمي الذي عينه عضواً مراسلاً ليرحل رحلة كانت فيها شهرته وبعد صيته . فاكتسى ثياب مسلم واجتاز آسيا الصغرى ودخل فارس فعرفه العامة من ثيابه بانه سني وراحوا يطيلون اليه يد الاذى. وبعد شقّ النفس بلغ طهران ونال من ناظر خارجيتها اذ ذاك المرزا سيد خان جوازاً بمتابعة سيره

ذكر المترجَم به ما لقيه في رحلته هذه من المتاعب فانه طاف بلاد فارس متنكراً في ثياب درويش وكاد يكشف أمره ويعرف انه ليس من أهل الاسلام ولكنه نجا ولم تدرك حقيقته . ثم التحق بجماعة من الحجاج فرافقهم الى خيوه وبخارى ولقي من سفره هذا نصباً لم يكن أقل مما لقيه في مبدإ رحلته وبعد سنة عاد الى طهران فطلبته روسيا ان يكون موظفاً عندها فابى وعاد الى بودابست سنة ١٨٦٤

وبعد ان قضى فيها مدة طُلب الى انكلترا بالحاح شديد فذهب اليها واستقبل فيها بالحفاوة . وقد نشر فيها رحلته هذه بالانكليزية فلم تلبث ان

ترجمت الى لغات اوربا واشتهر امرها وكانت الحكومة الانكليزية تود كثيراً ان تجعل في جملة رجالها رجلاً كالاستاذ فمبري يعرف الشرق معرفة حقيقية ليكون منه لها أحسن خدمة ولكن العالم المجري آثر ان يعود الى وطنه على شدة حبه لانكلترا. وعند عودته عين استاذاً لكلية بودابست فكان فيها اول استاذ غير كاثوليكي

وهنا انتهى تاريخ جهاد هذا الرجل وقد دام ثلاثاً وثلاثين سنة من حياته — وذكر فمبري في الفصول الاخيرة من رحلته كيف زار انكلترا وفرنسا والتقى فيهما الملوك والامراء وأعاظم العلماء ورأى منهم الحفاوة وأورد في فصلين اجتماعه بالسلطان عبد الحميد خان صديقه القديم والتقاءه بشاهي الفرس الاخيرين. وما أحلى الصفحة التي ذكر فيها كيفية اجتماع ناصر الدين شاه به لما اجتاز هذا مدينة بودابست في رحلته الى اوربا ودهشته لما رأى في المجمع العلمي المجري ذاك الدرويش الذي كان لقيه في طهران منذ بضعة عقود من السنين

كتب فمبري في العلم والسياسة وكل ما خطته يمينه نافع خطير. فقد ابتدأ يعمل في الصحافة بعد بلوغه الاستانة بقليل من الزمن ومن ذاك العهد لم يفتأ يؤازر في عدة مجلات انكليزية واميركية والمانية وافرنسية. والسنُّ لم توقفه عن نشاطه ولا عاقت حركته عن الانبعاث فانا نراه الى اليوم يتناول الموضوعات المختلفة بالهمة المعهودة فيه فينا نراه يبحث في اللغات وعلمها اذا هو يبحث في الآداب فاصول الشعوب فالتاريخ فالسياسة فالاحوال الاجتماعية

أما أغناس غولدسير المشار اليه فهو من أعاظم العلماء بالعربية في قارة أوربا . ولد سنة ١٨٥٠ فتخرج بارمنيوس فمبري الموما اليه ثم قضى اربع سنين في كليات برلين ولبزيك وليد. وفي الثالثة والعشرين من عمره عهدت اليه حكومته بمهمة فسافر الى سورية ومصر وقيد نفسه في طلبة الجامع الازهر ولما عاد الى بلاده عين أستاذاً في كلية بودابست وعضواً في المجمع العلمي المجري رصيفاً لاستاذه . ولغولدسير القدح المعلّى في علم أصول اللغات السامية وأصل اللغة العربية خاصة وهو بحر طام في تاريخ الاسلام

وهنا عدد الكاتب بعض أعمال هذين الرجلين في العلم وذكر جانباً من مصنفاتهما وعقب عليها بذكر بعض كبار علماء المشرقيات من المجر ومنهم من خص بتعلم التركية ومنهم الاخصائيون بالعربية وكلهم يخدمون الآداب الشرقية حق الخدمة . ففي قسم الفلسفة من كلية بودابست صفان للغة التركية وآدابها ولاصل اللغة الفارسية وفي القسم الديني منها صف للعربية والسريانية والكلدانية . وليس لتعليم اللغات الشرقية في بلاد النمسا والمجر غير كليتي بودابست وفينا

وللابحاث العلمية في المجر موارد غنية تساعد القائمين بها على البحث والتنقيب . منها المجمع العلمي المجري الذي جعل في زمرة اعضائه أناساً من المستشرقين أمثال فمبري وغولدسير وزيشي . ومنها جمعية علم خصوصيات الشعوب المجرية التي أنشأت فرعاً شرقياً خدم الابحاث الاسلامية أجلّ خدمة سواء كان بعلم أحوال الامم وأصولهم وأخلاقهم وتفرقهم (ايتنولوجيا وايتنوغرافيا) أو بعلم اللغات والادب والآثار والتاريخ والجغرافيا

وفي سنة ١٩٠٤ انشأ المجمع الدولي الآسياوي جمعية مجرية للبحث التاريخي والاثري واللغوي واصول الامم في آسيا الوسطى والشرق الاقصى. وهذه الجمعية تبحث بحثاً علمياً في بلاد الاورال وتتفرغ ما عدا البحث في اخلاق الامم وتفرقهم للابحاث المتعلقة بامم الاورال الالتايكية[1] كما تبحث في حالة البلاد التي ينزلها غير هؤلاء الشعوب وتعين هذه الجمعية فئة من علماء المجر تكون لهم صلة مع سائر الجمعيات والعلماء من الامم الغربية وتتفق على من يرحل الرحلات العلمية وتتفق مع سائر الجمعيات العلمية في المجر ليكون العمل بينهن مشتركاً ولا سيما فيما يتعلق بالآثار والعاديات. وتوزع الاعانة السنوية التي تعطيها نظارة الاديان والمعارف في المجر ثلاثة أثلاث. ثلث على المجلة التي هي لسان حال الجمعية والتي تنشر اعمال الاعضاء ومباحثهم. والثلثان الآخران يوزعان بالسوية على الفروع التي تريد الجمعية مساعدتها ولا سيما فرع اللغة والبحث في اصول الشعوب والآثار والتاريخ. وتعين نظارة الاديان والمعارف هؤلاء الاعضاء الى اربع سنين فاذا اتموا هذه المدة يقدمون لائحة بمن يرشحونهم بعدهم لتقر النظارة عليهم وقد انتخب للرئاسة هذه المرة الاستاذ فمبري.

وفي جانب هذه الجمعيات العلمية الصرفة جمعيات اقتصادية لا تقل عنها فائدة. فان المتحف التجاري الامبراطوري المجري في بودابست أسس سنة ١٨٨٧ وهو من المباني الفخيمة ويعد رسمياً تجارياً ونصب له وكلاء في جميع

(١) هي الامم التي كانت تعرف قديماً بالتاتار وهي عبارة عن الاتراك والتركمان والمجر والقرغيز

ارجاء بلاد البلقان كما له وكلاء في الاسكندرية وتونس . وقد أسس هذا المتحف فادرك لاول عهد تأسيسه ضرورة التعليم الابتدائي لاعداد بعض النشء للتجارة مع الشرق فانشأ سنة ١٨٩١ صفاً للتجارة الشرقية وهو الذي اصبح اليوم مجمعاً علمياً للتجارة ثم اعيد تنظيمه سنة ١٨٩٨ - ١٨٩٩ فنتجت منه احسن النتائج

اما التعليم الذي شرعه هذا المجمع العلمي فيتناول عدة ابحاث ومعارف يدرسها المتعلم في سنتين وهي عملية حقيقية لا نظرية خيالية . واهمها تعلم اللغات الشرقية ولغات بلاد البلقان خاصة والعلوم التجارية والقنصلية وعدة مواد اخرى . وعلى كل طالب ان يتعلم سنتين اللغات الشرقية وهي الرومانية والصربية والبلغارية والتركية والرومية الجديثة والعربية العامية والروسية . وان يتعلم المراسلات التجارية والكلمات الاصطلاحية في التجارة والقضاء وان يتعلم من اللغات الاوربية الايطالية والفرنسية ومن العلوم جغرافية الشرق ولا سيما بلاد البلقان وآسيا الصغرى وعلم اصول امهما واخلاقهم وعلم التجارة والجارك والحقوق العمومية والادارية وقوانين التجارة وطريقة الاعتمادات .

وهناك صفوف لتعليم اللغات الشرقية تقام في المساء . وقد خصص المجمع العلمي مبلغاً من المال ليستعين به بعضهم على التعلم وحذا حذوه في هذا السبيل بعض أرباب الخير وغيرهم . ثم رأت هذه الجمعيات العلمية انه لا غنية لها عن صحيفة تكون لسان حالها وسجل أبحاثها وتحقيقاتها فانشأت مجلة شرقية تكتب بجميع لغات أوربا وتباع بثمن بخس تعنى بالمباحث

الاورالية الالتايكية سمتها « كليتي زميل » وبعام خصوصيات الشعوب وتنشر مقالات عن الامم الشرقية النازلة بين نهري فولغا وأورال من الجنس الفينو المجري وأبحاثاً في العنصر التركي وتعنى عناية خاصة بنشر التقاليد القديمة أو العامية وتبحث في صلات الامم الاورالية الالتايكية بعضها مع بعض أو مع غيرها وتبحث في احوال الشعوب الآسياوية ولا سيما في أصول التاتار والامم القافقاسية والايرانية والصقلبية (اللاتية) وغيرها

وقد قال العالمان اللذان عُنيا بادارة شؤون هذه المجلة ان المجر هم زعماء العناصر الاورالية والالتايكية وممثلو تلك الحضارة نزلوا بلادهم منذ الف سنة وظلوا محتفظين بلغتهم وهي أشبه بجزيرة خضراء في الشرق وسط بحر محيط مؤلف من سيل الشعوب الجرمانية والصقلبية على حين ان أمماً كثيرة تماثلهم كالبلغار والبشناق والخزر والكومان لم يتركوا أثراً من تاريخهم يذكر وبادت مملكتا الهونس والافار[1] وذهبتا ذهاب امس الدابر

وختم الكاتب هذا الفصل بتعداد ما كتبه اولئك الاعلام من الابحاث الممتعة وشاركهم في وضعه زمرة من علماء المشرقيات من الالمان والفرنسيس والانكليز والروس والترك وكان للمباحث الاسلامية ولا سيما التركية منها شأن عظيم في سجل اعمالهم

(١) الهونس امة بربرية كانت على شواطئ بحر الخزر اقتضّت على اوربا بزعامة البطل اتيلا في نحو القرن الخامس للميلاد . والافار شعوب من اصل اورالي الالتايكي هاجت اوربا ثلاثة قرون وقضى عليها شارلمان امبراطور الفرنسيس في القرن الثامن

دمعة بعد جناية

آه حتى مَ يظل الحق غريباً في معاهدك أيتها الجمعية البشرية ، الى مَ تبقى التقية — كالجندي الجاهل العنيد — مسيطرة على الصلاح بين أفرادك ، ولماذا يُحرج على الصدق ان يخرج بموكبه وتاجه في هذا العالم كما يجب جلاله ؟

متى يا تُرى تنشطُ هذه الحقيقة من عقالها الازلي وهل من أماني هذه الارض ان ترى كهربائية الصلاح مضيئة في آفاقها قبل ان تسوّد الشمس ؟

آه ، ما أوحش الانسان وما أقساه : يضم بين ضلوعه عواطف ملؤها الحنان والحب والحقيقة والفضيلة والعدل ، وضميراً هو هو معيار الانصاف في هذه الحياة ، وشعوراً هو السيّال الاثيري الذي ملأ ذرّات كل شيء ، ثم لقد ضمّ بين ضلوعه هذه المزايا الفاضلة وهو ربها وهو بها العالم الاصغر والنسخة الكبرى لهذه الكائنات ، ولكن أين هذه القوى الملكية ، أليست معه يوم يفعل فظائع الشيطان ، أما هي بين ضلوعه عند ما يُقدم على الشر والباطل ؟ . .

أجل ، هي لا تزال فيه ، ولكنها يا للاسف والخسران قد صدأت وتولتها رطوبة البعد عن الحق وسطا عليها غبار الرذيلة . . .

كم وكم أيهذا الصلاح يبسم في العالم الانساني القاتم بريقٌ ضئيل من ذُبالتك المعرضة لجميع الاهواء ، من كل الانحاء ، فأُريد ان أتبعها ، فلا أجدني الا بين الاشواك ، في جانب هوّة مدهشة ، يظهر منها التنين وجهنم والغول وكل خيالات الوهم ومخوفات الباطل . . .

كم وكم أيهذي الحقيقة عاهدت عواطفي وضميري وكل شعوري على

إخائك ، على الصدق لكِ وعلى اهداء حياتي العزيزة عليَّ اليك ، نم اليك فقط ، اليك وحدكِ ، فيضطرني هذا الوسط الاسود الى جناية لا محيص عنها ، فأفعلها وأنا شاعر باحتياج روحي الى البكاء ، فارجع الى نفسي ، وأبكي ، ثم أبكي ، ثم أبكي ، حتى أروي ظمإي من هذا الاحتياج في حين أني عارف تمام المعرفة ان الجناية البشرية لا تبررها قطرات الدمع

وكم وكم أيهذا العدل من دمعة قطرت بيني وبين نفسي من عينيَّ بعد جناية ، بعد حادثة مشؤومة ، فذكرت عند ذلك أنني لا أزال انساناً وحشياً قاسياً في هذه الحياة . . .

القسطنطينية محب الدين الخطيب

صحف منسية

قصيدة لأبي العلاء المعري(١)

أستغفر الله في أمني وأوجالي ... من غفلتي وتوالي سوء أعمالي
قالوا هرمت ولم تطرق تهامة في ... مشاةٍ وفدٍ ولا ركبان أجمال
فقلت اني ضرير لم يحجَّ أبي ... ولا ابن عمي ولم يعرف مِنى خالي
وحجَّ عنهم قضاة بعد ما ارتحلوا ... قومٌ سيقضون عني بعد ترحالي
فان يفوزوا بغفران أفُزْ معهم ... أولا فاني بنار مثلهم صالي

(١) ارسلها للمقتبس الاستاذ مرجليوث استاذ العربية في كلية اكسفورد وقال : ان الصفدي اوردها في الوافي بالوفيات عن سبط ابن الجوزي في ترجمة ابي علاء وهي عندي من غرر شعره مع انها لم تنشر

ولا أروم نعيماً لا يكون لهم ... فيه نصيب وهم أهلي وأشكالي
فهل أسرُّ اذا حُمَّت محاسبتي ... أم يقتضي الحكم تعذابي وتسآلي
من لي برضوان أدعوه فيرحمني ... ولا أنادي مع الكفار أمثالي
باتوا وحتفي أمانيهم مصورةً ... وبتُّ لم يخطروا مني على بال
وفوّقوا لي سهاما من سهامهم ... فاصبحت وُقفاً عني بامبال
فما ظنونك اذ جندي ملائكة ... وجندهم بين طواف وبقال
لقيتهم بعصا موسى التي منعت ... فرعون ملكاً ونجت آل اسرال
أقيم صيتي وصوم الدهر آلفه ... وادمن الذكر ابكارا بآصال
عيدين أفطر في عامي اذا حضرا ... عيد الاضاحيّ يقفو عيد شوال
اذا تنافست الجهال في حال ... رأيتني في خسيس القطن سربالي
لا آكل الحيوان الدهرَ مأثرةً ... أخاف من سوء اعمالي وآمالي
واعبد الله لا أرجو مثوبته ... لكن تعبد اكرام واجلال
أصون ديني عن جُعل أؤمله ... اذا تعبد اقوام باجعال

مطبوعات ومخطوطات

مفردات الراغب — قال الامام الرازي ان الراغب الاصفهاني من أئمة السنة وقد قرنه بالغزالي وهو من اهل المئة الخامسة . ولم نعثر له على ترجمة حافلة على ان ما عرف من كتبه كاف في الدلالة على واسع علمه وكثرة تحقيقه فمن كتبه المطبوعة « الذريعة الى مكارم الشريعة » و « تفصيل النشأتين » وهذا « المفردات في غريب القرآن » . طبع الكتاب الاخير

وقد أعادت المطبعة الميمنية طبعه على نفقة أصحابها مصطفى افندي الحلبي وأخويه بكري افندي وعيسى افندي مصححاً بمعرفة الشيخ محمد الزهري الغمراوي على عدة نسخ بدار الكتب الخديوية وبعد ان تحرى أصوب الروايات في مظانها من الكتب اللغوية وضبط الفاظه بالشكل الكامل فجاء في ٥٧٦ صفحة حرياً بطالب معاني الكتاب العزيز والفاظه ان يقتنيه والفاظ القرآن كما قال المؤلف : هي لب كلام العرب وزبدته وواسطته وكرائمه وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم واليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم وما عداها وعدا الالفاظ المتفرعات عنها والمشتقات منها هو بالاضافة اليها كالقشور والنوى بالاضافة الى أطايب الثمرة وكالحثالة والتبن بالاضافة الى لبوب الحنطة

والكتاب يباع في مكتبة طابعه بشارع البلطة بالغورية وهو في اعتقادنا يغني الطالب عن الرجوع الى التفاسير اذا اراد كشف المعاني من الالفاظ اللغوية فنثني على طابعه بما هم أهله فانهم أحيوا بمطبعتهم كثيراً من كتب السلف التي كان يعز وجودها وجدا يوم يعيدون طبع جميع ما طبعوه ولا سيما الامهات بالحروف الجديدة اللطيفة ليكون أدعى للاقبال واحسن للمطالعين على كل حال

محاورات المصلح والمقلد — هي مقالات نشرت في المجلد الثالث والرابع من مجلة المنار الاسلامية الغراء وبابها فتاوي نشرت في المجلد السادس منه موضوعها الاجتهاد والتقليد وكليات الدين الاسلامي لمنشئها السيد محمد رشيد رضا المعروف بعلمه وعمله وقد شرح فيها باسلوبه الرصين المحكم كثيراً

من أدواء المسلمين ولا سيما المقلدين منهم والجامدين وزيف ترهات المخرفين ومعتقدات الحشوية المبطلين فافاد.وأجاد أثابه الله وهي تقع في ١٤٠ صفحة مطبوعة طبعاً نظيفاً وتطلب من مكتبة المنار بخمسة قروش فنحث كل طالب ومتعلم على اقتنائها

الهداية الى فرائض القلوب — هو الباب الاول من كتاب التوحيد تأليف الرئيس بحية بن يوسف اليهودي الاندلسي نشره الدكتور ابراهيم سالم المقدسي وقد أراد ان يجعله تمهيداً لتأليف تام من كتاب الهداية للدائن (أي قاضي اليهود) الاندلسي المشهور بابن بحية . ولقد كان لليهود شأن في الفلسفة العربية يعرفه حق معرفته كل من درس الحضارة الاسلامية . فللميموني كتاب دلالة الحائرين ولسعدية كتاب الايمانات والاعتقادات ولسليمان بن جبيرول كتاب اصلاح الاخلاق وقد طبعت اكثر مصنفاتهم في أوروبا وترجم اكثرها الى الفرنسية أو الالمانية اما ابن بحية مؤلف هذا الكتاب فلم يترجم حتى الآن الى لغة من لغات الغرب ولذلك كان في عمل الدكتور المشار اليه أحسن مقدمة تدل على فضله . وانا لنرجو ان يوفق الى نشر ما ينوي تأليفه من مجاميع مسلسلة في فلاسفة اليهود الذين كتبوا بالعربية في القرون الوسطى على عهد ارتقاء الاندلس ي . د

فصول الحكماء — هي رسالة في مئة صفحة صغيرة تأليف سماحة محمد أبي الهدى افندي الصيادي جمع فيها تراجم بعض حكماء اليونان والاسلام وشيئاً من حكمهم وعقب عليها بتراجم بعض مشايخ الطريق والتصوف

وأورد شيئاً من اشارتهم وعباراتهم وقابل بينها وبين كلام الحكماء

مقامة الامثال السائرة — طبع عبد القادر باشا الخضيري من بغداد هذه المقامات لمؤلفها الشيخ عبد الله السويدي البغدادي المتوفى سنة ١١٧٤ ضمنها الامثال السائرة القديمة المولدة المعروفة على طريقة التسجيع والترصيع التي كانت مألوفة في عصره . وفي ذيلها مقامة للشيخ عبد الرحمن الانصاري وهي مسجعة أيضاً

سير العلم

مطار الغبار — حدث في منجم فحم ببلاد الانكليز سنة ١٨٤٤ ان التهب التهاباً شديداً فقضى على كثيرين من المعدنين . وقد دعي عالمان للبحث في سبب هذا الالتهاب فذهبا الى انه ناتج من الغاز المتجمع على سطح الغبار في المنجم ونصحا بالتوقي من هذا الغبار فثبت ان الغبار المتراكم كيف كان حاله يخشى من التهابه ولا سيما غبار الدقيق والناج (الشعار) والسكر والقطن وغيره من المواد التي يضر مسها كما يضر مس الديناميت. وكل معامل القطن التي لا تعنى بازالة هذا الغبار من حيطانها يحترق ويلتهب اذا اصابته حرارة وكذلك مطاحن الدقيق والامثلة على ذلك كثيرة كما روت المجلة الباريزية . وكانت بعض المعامل تكتفي برفع هذا الغبار وتروّحه وقد اخترع احدهم آلة تفصل الغبار المتجمع وتقذفه بقوة شديدة الى مقر هذه الآلة فتتكون منه مادة تستعمل في تغذية الماشية وأُدخلت تحسينات كثيرة على هذه الآلة واخذوا في اميركا يجعلون استعمالها ضربة لازب

على كل محل يتصاعد الغبار منه مخافة ان يعلق بها شيء من اللهيب عن بعد فتلتهب وتضر بالمكان والمكين.

ابناء في اميركا - أخذ القوم في نيويورك يتمدون في الهواء بمبانيهم فانهم اقاموا فيها ١٩ مسكناً يكون مجموع ما فيها من الطبقات نيفاً واربعمائة طبقة ويكثر نوع هذه البنايات في الغالب في جزيرة مانهاتان والبنايات ذات الست والثلاثين طبقة كثيرة جداً وتستعمل الادوات الرافعة بقوة الماء أو الكهرباء لطلوع السكان ونزولهم واذا دامت الحال على هذا المنوال في سكنى العلالي بل الاعالي فسيكون للحياة في اميركا بعد حين شأن غير شأنها الحاضر فيقضي الرجل في مسكنه معظم ساعات نهاره لا يكلم الناس الا بالتلفون ولا ينزل الا اذا رأى حاجة ماسة لنزوله وقد ظهر ان الاعمال لم تتعطل بذلك عن سيرها وانها ما دامت تتزايد.

شقاء العلماء — هربرت سبنسر هو أكبر عالم انكليزي قام في القرن التاسع عشر وقد نشرت مفكراته عن حياته فاذا بها يصف نفسه قبل ان يموت باشهر بصورة تحزن ولكنها تعلّم. قال: انه اصيب في السنة الخامسة والثلاثين من عمره بضعف في قواه عقيب اشتغاله الاشغال العقلية الطويلة الصعبة ومذ ذاك اصيب بالأرق الدائم وفي السبعين من عمره لم يعد يستطيع ان يعمل سوى ساعة في النهار متقطعة براوح بينها وبين اعمال أخرى فلا يعمل كل مرة أكثر من عشر دقائق. وقبل ان يموت بعشرين سنة عدل عن تناول طعامه في المدينة واصبح اذا سمع الانغام الموسيقية خص

دقائق وكانت من قبل تستهويه وتشوقه أولعب بالنرد أو غيرها من الالعاب بضع دقائق يمرض ايماً وكاد لا يستطيع القراءة ولا يستطيع ان يمشي زيادة عن ثلثمائة متر ولا ان يتنزه اكثر من عشر دقائق في عربة ذات آلة مفرغة للهواء . ولما اهتدى الى مذهب النشوء لم يكن يهنأ له بال الا بوضعه وشرحه. وعاش وقلبه لا يعرف حباً غير حب الحقيقة . قال والعزوبة كانت بعد كل ذلك هي اليق بي بل هي اليق بالمرأة التي لا أعرفها والتي لم أتزوجها . قالت المجلة التي نروي عنها وهكذا حياة كبار الرجال وخصوصاً كبار العاملين المجاهدين منهم ما كانت قط عذبة المذاق . والمجد في الغالب لا ينال الا اذا بذل فيه كل ما عزّ وهان

اللغة الانكليزية — اللغة الانكليزية اكثر اللغات الفاظاً فقد قدروا مؤخراً عدد الفاظها بثلثمائة وخمسين الف لفظة هذا وشكسبير الشاعر الانكليزي لم يستعمل من هذه الالفاظ سوى ستة عشر الفا وميلتون الشاعر المشهور ايضاً لم يؤثر عنه انه استعمل اكثر من ثمانية آلاف لفظة . ويستخدم الانكليزي المتوسط في تعليمه من ثلاثة آلاف الى اربعة آلاف كلمة ويتأتى لمن يعرف الف لفظة ان يحسن التخلص باستعمالها في انكلترا وهذا غريب

فلسفة الشرق — كتب انكليزي في احدى المجلات الهندية الانكليزية فصلاً في العلوم التي يتيسر للغرب ان يأخذها عن الشرق فقال ان العلوم الفلسفية ينبغي ان تؤخذ عن الشرق أولاً وفي الهند ميدان فسيح اكثر

من كل بلاد شرقية سبقت لها حضارة قديمة لدرس أصول اللغات ومقارنتها والديانات ووضعها على محك التنظير وان لها في الفلسفة القدح المعلى . فالمذاهب الهندية في الفلسفة لم تأخذ شيئاً عن أفلاطون ولا أرسطو ولا القديس بولس بل ان حكماء الهند بحثوا منذ ألوف من السنين في المسائل الكبرى التي أزعجت الانسانية كمسألة الوجود المطلق والآخرة والروح والربوبية . فعلى من يودون ان ينصرفوا الى دراسة علم النفس وعلم ما وراء الطبيعة ان لا يباشروا هذين العلمين الا بعد ان يتمكنوا من الوقوف على بعض ما ذهب اليه قدماء حكماء الهند في هذا الموضوع

الطلاق في أميركا — يكثر شيوع الطلاق في الولايات المتحدة سنة عن سنة وان لم ينظر القانون في حال الاولاد الذين يولدون من المطلقات وقد غبطت احدى المجلات الاوربية بلاد الاميركان على قلة الطلاق بينهم على كثرة ما يقال عن شيوعه بينهم فقالت ان حدوث مئتي الف طلاق في سنة ١٩٠٠ باميركا لا يعد شيئاً مذكوراً اذا قيس بأمة يبلغ عددها نحو ثمانين مليوناً

مستقبل الاتوموبيل — نشرت مجلة المجلات النيويوركية فصلاً في الاتوموبيل استندت فيه الى ما تم له من الانتشار منذ اثنتي عشرة سنة في أميركا فقالت انه لم يكن فيها على ذلك العهد سوى خمسة اتوموبيلات ومنذ خمس سنين لم يكن في أميركا الا قليل من عجلات الاتوموبيل يقتنيها كبار المثرين للتسلية والبذخ ويقدر اليوم عدد الاتوموبيلات في أميركا بمئة الف أتوموبيل وقد صنع منها في السنة الماضية وحدها خمسة وعشرون الفاً

وأوصي لهذه السنة على خمسين الفاً أخرى وهذا مما يدل على ان عجلات الاتوموبيل ستقضي على عجلات الخيل وخصوصاً متى أدخل على الاتوموبيل بعض الاصلاح

اكتشاف في سيلان — اكتشفت في جزيرة سيلان مصانع عظيمة فخيمة أقامها الملك العظيم « پاراكراماباهو » الذي شيد ١٤٧٨ حوضاً لخزن مياه الامطار ليستعملها الناس . وعثر في معبد « كال فيهارا » على ثلاثة تماثيل ضخمة للمعبود بوذا نُحتت في حجر الصوان على أجمل شكل واكتشفت كهوف حفظ فيها تاريخ سيلان قبل المسيح وعثر فيها على كتب بوذية كتبها الكهنة على أوراق النخيل ملتصقة بعضها الى بعض وموضوعة في ظروف من حرير لتجمع في صناديق صغيرة من خشب جعلت في مقاصير

الحياة الماوية — كتب احد رجال العلم والدين مذكرات عن الولايات المتحدة قال فيها انها أصبحت جنة أرباب الصنائع والفنون واهل العلم راجت فيها الآداب والفنون رواجاً لم يعهد له نظير حتى ان الممثل أو المغني اذا طاف أميركا يعود منها بثروة . فالعمل في هذه البلاد هو الحياة حقيقة أي ان كل عامل ينال حظه من سعة الرزق بقدر جده في أعماله وقد اصبح الذهب فيها الغاية الوحيدة التي يسعى اليها الناس. وبحق ما قال احد الاميركان: اننا نحسن العمل ولكننا لا نحسن العيش فانا نرى الانتحار شائعاً بين اهل الطبقات الغنية اكثر من شيوعه بين اهل الطبقة الفقيرة

تلقيح الارض — رأى بعضهم منذ مدة ان يستعمل النيتراجين لاخصاب التربة وامراعها . ثم ان احد علماء الزراعة من الانكليز اخترع في هذه الايام اختراعاً آخر لتلقيح الارض المجدبة خصوصاً اذا كانت رملية فجربت هذه المادة في عدة أصقاع من بريطانيا فأتت البقول قبل ثلاثة أسابيع من ميعادها وزاد محصولها خمسين في المئة ويكلف كل آكر (هو ٤٠ آراً ونصف والآر مئة متر مربع) شلناً واحداً فيأخذ الفلاح ثلاث رزم يكون في الاولى كمية من الاملاح المعدنية وفي الثانية ذرور وفي الثالثة فوسفات النشادر ويحلها في اناء كبير يملأوه ماء ويجعل مسافة ٢٤ ساعة بين وضع كل رزمة ثم يجعل هذا المحلول مع البذور فتبتل بها أو يمزجها بتراب ويذرها على الارض أو يرش بهذا المحلول أديم الارض المزروعة .

النوام — هو مرض النوم الذي شاع كثيراً في افريقية الشرقية وهلك به نحو مئة الف نسمة في بضع سنين وقد انتدب للنظر فيه الدكتور كوخ الالماني ونشر الآن تقريره عنه فقال انه حقن المصابين به بمادة الاتوكسيل المؤلفة من النشادر فظهر انه يخفف بعض آلام المريض ويرجى ان يشفى به فاذا وفق الدكتور الباحث الى تحقيق الامنية من دوائه فيخفف عن ابن افريقية بدوائه الجديد ما خففه عن ابن الغرب بدوائه للسل الرئوي

وقف على العلم — وقف أحمد بك الشرف من أعيان طنطا مئة فدان من أجود اطيانه على المدرسة الجامعة المنوي انشاؤها في مصر ويقدرون ثمنها بثلاثين الف جنيه بارك الله به وبماله

نفاضة الجراب

فجائع البائسين

(٤)

مضت أيام وسعيد يجتهد فوق طاقته بحيث قدم فحصين عن دروس صفين في آن واحد حتى بلغ الصف المنتهي ليقرب وصوله الى المدارس العالية وظلّ مثابراً على خطته حتى خرج الاول من المدرسة ولم يترك جائزة لاحد من رفقائه في الصف فادهش المعلمين والتلاميذ وامّل الجميع بنجاحه في المستقبل وبعد ما نال الشهادة عزم على السفر واطلع الباشا على قصده فساعده على ما يريد ولم يتيسر له ان يختلي بجميلة ولكنه ودعها قائلاً «أؤمل ان اوفق الى مطلوبي» وذهب الى الاستانة تحف به الآمال وتشيعه الاحلام

حتى اذا بلغ دار السعادة اخذ يفكر في انتخاب مدرسة يتخرج فيها على النحو الذي يكون به في المستقبل جديراً بجميلة فلا تكبده ما لا يطيق من النفقات . فرأى ان دار المعلمين أحسن عائدة عليه لأن الأول في الصف فيها يقبض مشاهرة ليرة عثمانية وكان يعتمد على نفسه بأنه سيحرز الاولية بيد أنه فكر بما سيؤول اليه أمره في المستقبل وما ذا سيكون من اشتغاله فلما أدرك انه سيصير معلماً للنشء وقيماً على الاطفال امتنع عن الدخول الى دار المعلمين ذلك لأن هذه الصناعة تعد قبيحة عند العامة وهو يود ان يصير في مقام

يكسب به جاهاً يخوله الحق ان يخطب جميلة من أبيها ثم فكر في حقيقة تعليم النشء وتدريبهم فأدرك انه بعمله هذا يكون علمهم العلوم وأحسن تربيتهم وجعلهم رجالاً للأمة وقد يعلمهم الموازرة والتضامن فيجعلهم جسماً واحداً وأمة واحدة كالبنيان المرصوص ويدربهم على الاعمال الشريفة التي تعود بالخير على وطنهم فينعم بذلك أجراً جزيلاً وثناء جميلاً . وربما أحرز منصباً في نظارة المعارف يجعله في أوج المعالي اذا ساعده الدهر وخدمه الحظ وكان مغروراً بحظه لما رأى من نفسه النباهة في الفوز بالاولية في الصف ومحبة الناس عامة . وبعد ان فكر ملياً في الامر أزمع الدخول الى هذه المدرسة فدخلها وأخذ يقضي أوقاته ويفني صحته في الدرس لينال ذلك الراتب . وفي غضون ذلك انتقل الباشا من دمشق برتبة أكبر الى مكان بعيد فساقته الضرورة الى الاكتفاء بهذا الراتب القليل

وكان سعيد لما بلغ الاستانة نزل في خان من خانات « شنبرلي طاش » واستأجر أصغر حجرة فيه يدفع ثلاثين قرشاً في كل شهر وقد أتى معه بفراش ولحف واشترى قطعة بساط عتيق فمده وجعل يجلس على فراشه كل من يزوره من اخوانه وكان يشتري ما يلزمه من الأواني شيئاً فشيئاً ويعيش في غاية الاقتصاد . فكلما دخل حجرته او اكل او شرب او نام يعتريه ضيق صدر فيشكو دهره ويقول الى متى وأنا مقضيٌ عليَّ بالتقتير والحرمان من كل لذة وقد ينتهي في الاحايين الى درجة اليأس بحيث يكاد ينتحر ليخلص من هذه الحياة التعسة ثم يرجع الى نفسه ويقول قتل الانسان ما أكفره . لا بد من تحمل المشاق حتى انال السعادة ومهما عاكسني الدهر فاني قاهرهُ

بشدة صبري ثم يأخذ يفكر في مستقبله وماذا يفعله وربما تجسمت أمامه السعادة ورأى نفسه في أعلى المناصب وانه نال حينئذ وصالاً من حبيبته جميلة وبينا هو يخوض بحار هذه الخيالات يرى ساعة الدرس اتت فيلعن الدرس والاجتهاد لانه كان في حرب من الافكار

وكان يمتنع عن التنزه الا اذا اكرهه اخوانه على رفقتهم فيذهب حياة منهم فينغصون عيشه وهم بمالهم فرحون فكان اذا رأى منزلاً عالياً تذكر حجرته واذا رأى عربة جميلة تذكر ذهابه وايابه الى المدرسة ماشياً تحت المطر والثلج وان رأى نُزلاً تذكر دكان الطاهي الذي يتعشى فيها واذا استنشق هواء نقياً تذكر هواء حجرته الفاسد واذا رأى غادة تذكر حبيبته واذا رأى عجوزة تخدمها السراري تذكر أمه وهي تعمل في المطبخ. وكلما شاهد ما يدل على السعادة كان يذكر ما يقابله من شقائه فيرجع من التنزه حزيناً كئيباً وعود رفقاؤه مسرورين . ولذلك كان يعد أحسن أوقاته ساعة نومه الخالي من الاحلام اذ يستريح به من التفكر في الشقاء وكان كلما ذكر شقاءه يقطع أمله من جميلة ولكن الآمال كانت تبعث الاطمئنان الى قلبه . وقضى ثلاث سنين على هذا المنوال وهو بعيد عن راحة الفكر وانشراح الصدر فاتم الدراسة وأخذ شهادة تامة تؤهله لكل خدمة ثم عين معلماً براتب ثمانمائة قرش في الشهر فساقته الآمال واطمئنه الرواتب وسعد به أبواه وأهله ولكن لم يمضِ زمن حتى مات أبوه وخلف له أسرة قضي عليه ان ينفق عليها فاصبح راتبه لا يكفيه وصار يلتمس ممن تعرف اليهم ان يعينوه معاوناً لمدير مكتب بيروت الاعدادي فبلغ راتبه الفاً ومائة قرش

على شرط ان لا يفارق المكتب الا ليلتين من كل أسبوع ويدرس أربع ساعات كل نهار ويعلم الرياضيات والتاريخ والانشاء فصار يتألم من تنوع الفنون التي يشتغل بها وكان يود ان يختص بفن واحد منها ولكن قلة الاجرة التي خُصصت للدروس اضطرته الى ان يتحمل هذا العذاب ويمنع نفسه من الاختصاص بفن واحد ومع كثرة اشتغاله وتألمه من كثرة عائلته ما انقطع لحظة عن التفكر بجميلة ولكن بعدها عنه وانقطاع أخبارها جعلاه في يأس من الوصول اليها وكان في احتياج للزواج

(٥)

في يوم راقت سماؤه ورق هواؤه ذهب سعيد مع صديق له يسمى رفيقاً الى متنزه ضبيا ليصرف وقتاً بدون فكر ويتخلى ساعة عن بؤسه وشقائه . فاخذا يتجاذبان اطراف الحديث في كل ما خطر ببالهما . فساقهما الكلام الى البحث في الزواج شأن من لم يتزوجوا من الشبان وكان لرفيق أخوات جميلات متعلمات يود الناس الزواج بهن ولكن كان له أم عرفت بمساوىء الاخلاق واشتهرت بسوء الطوية فامتنع الناس عن التأهل باخواته . وكان رفيق في كدر من كساد هن وهو على علم من مكانة سعيد في الحال والمآل فتصور سعادة لاخته في قرانها بسعيد فتجاسر وكلفه بان يصير له صهراً ففكر سعيد هنيهة ووعده بالقبول فتعهد رفيق باسكانه في منزله واعتباره واحداً من اهله وفرداً من افراد عائلته وافترقا على أمل القران فذهب رفيق وأخبر أمه بما جرى بينه وبين سعيد ومدحه لها وأعلمها برأيه وأفهمها مستقبله فسرت به وأملت بسعادة ابنتها فرضيت

وسافت ابنها الى اتمام هذا الامر فذهب اليه غير مرة وسأله عن عزمه فاجابه بالقبول وكان سعيد فكّر في جميلة وما بينهما من الوعد. ولكنه استبعد ثبات النساء على أقوالهن والوصول اليها لما بينه وبينها من الامتياز في الطبقة وعبثاً رأى نفسه معلقة بها فرضي بالزواج وتكلم مع رفيق على مقدار المهر فرضي هذا بخمسة آلاف بعد قبول أمه ولكنهما قررا على ان يعقدا النكاح على مهر مقداره ١٥٠ ليرة رئاء أمام الناس وعينت ليلة العقد ودعي الاقارب والخلان وشربت المرطبات وتولى الشيخ صيغة العقد وذهب كل من حضر داعياً بلسانه وهم ما بين معترض ومنتقد وساب وشاتم وحامد

وعينت ليلة العرس ودفع المهر سعيد فاستدان وباع راتبه بنقص ليقبضه قبل ميعاده حتى يقوم بما يلزم من نفقات العرس

واجتمع بقرينته « شهيرة » فوجدها على ما يرغب وسرّ بها وظن انه نال السعادة فصار معززاً مكرماً لدى أسرة رفيق بأسرها ولكنه وقع في قبضة الديون بعد ان كان يقتصد من راتبه ويجمع دراهم وصرت لا تراهُ الا شاكياً باكياً من دهره يفكر ويقدّر فيما يجعله غنياً وكانت عنده (تحويلات) البنك العقاري وتحويلات سكة حديد الروم ايلي فرهنها على مبلغ ليوفي ديونه فا خلص منها ولكن لذة ليالي الوصال واوقات الاجتماع كانت تنسيه همه وتسليه عن غمه . وظل نحو شهرين بين مسرور بزوجته ومغموم بديونه وكان أخبر أمهُ التي تركها بدمشق بزواجه فأرسلت تطلب منهُ ان تحضر اليه لترى كنتها وتلتقي بابنها فاستدان لها مبلغاً ارسله اليها فأتت ونزلت ضيفة في بيت رفيق ولم تلبث يوماً او بعض يوم حتى اخذت أم رفيق تهينها هي وبناتها

الاشيرة امرأة سعيد فانها كانت تبجلها رعاية لقربنها فتكدرت أم سعيد وأخبرت ابنها بما وقع لها فأسف لذلك واضطر الى الرحيل فاتخذ له داراً سكنها هو وأمه وامرأته فزادت نفقته وازدادت ديونه فصعب انتقاله على أم رفيق لانه كان يشترك معها في الانفاق على البيت وكانت تقتصد بسببه وتخفف نفقات ابنها فسعت في ارجاع ابنتها بدعوى انها لا تطيق السكنى مع أمه وكانت تعلم ابنتها ما تقوله فصارت هذه تلح عليه باعتزال أمه وتبدي له الجفاء بعد أن كان لا يرى منها الا المحبة والوفاء فصار يؤاخذها على اعمالها وينصح لها بأن لا تسمع كلام أمها فما سمعت له وتركته وحيداً من اجل أن تنال رضى أمها ورجعت الى بيت أخيها . اغتنمت تغيب أهل الدار ذات يوم فأتت بحمالين ونقلت متاعها وتركت الدار بلا أثاث فرجع سعيد في المساء فلم يجد متاعاً وأخبره الجيران بما تم فلعن حماته والساعة التي عرف بها رفيقاً وكانت أمرأته حاملاً قد اقربت وكان أخوها متغيباً عن بيروت عند ما تمت هذه الاعمال القبيحة فلما رجع اخبرته أمه وعظمت الامر في عينه حتى جعلت سعيداً لحمة سوداء أوحية رقطاء وصورته لابنها مثال الدناءة والرذيلة وجردته من كل شهامة وخلة كريمة ونسبت اليه من الاعمال ما لم يخطر له على بال حتى أشربته بغض صهره وساقه الحنو الاخوي للانتصار لاخته وأعماه كلام أمه عن رؤية الحق وراح يظن الباطل حقاً وأصبح لا يثق بكلام سعيد فبدلاً من ان ينصح لاخته وأمه أخذ يزيدهما عتواً وطغياناً . وكان سعيد يسعى ليصلح الخلل ونصح لرفيق ووعظه فما استفاد الا هجراً وصداً فتركه وشأنه

وضعت شهيرة فطلبوا منه نفقات الوضع فما تأخر عن طلبهم وأرسل اليهم جميع ما يلزمهم من دراهم وغير ذلك على أمل ان يرجعوا عن غيهم . فولدت الفتاة غلاماً فرح به أبوه ولكنه لم يتيسر له ان يراه وصار يتوسط ليرى مهجة فؤاده فلم يحظ بطائل. وعندها رأى ان يهجر أهل زوجته هجراً جميلاً فاغتاظ رفيق لذلك وأقام الدعوى عليه في المحكمة الشرعية فأتى بشهود من أقار به ليشهدوا ان سعيداً طلّق شهيرة فشهدوا بالطلاق وانه لم يدفع من مهرها المسجل شيئاً وقدره مائة وخمسون ليرة وهنا أدرك سعيد انه وقع في شَرَك احتيال رفيق الذي اتفق معه على خمسة آلاف قرش وكتب العقد ١٥٠ ليرة ولكنه أقام البراهين والادلة القاطعة على انه دفع المهر وانه لم يسبق منه طلاق وان الفتاة زوجته في كل وقت وانه يحبها وان تعيين هذا القدر من المهر كان من قبيل التظاهر امام الناس بالسمة ومفاخرة لا حقيقة

فادرك القاضي اخلاصه وأيقن بصحة دفع الخمسة آلاف من المهر المسجل وما استطاع الا ان يحكم ببقية المائة والخمسين ليرة مهراً مؤجلاً لانه مسجل بالقيود وشهادة الشهود على انه موقن بعدم صحة هذا المهر المسجل ورتب على سعيد مائة وخمسين قرشاً في كل شهر أجرة الحضانة وتربية ابنه وحكم ببقاء الزوجية

فعند ذلك يئس سعيد من امكان الاجتماع بزوجته الا اذا ماتت حماته ولم يجسر على الطلاق خوفاً من ان يحق عليه اداء بقية المهر لانه لم يبرح رازحاً تحت أحمال الديون التي تذهب ببركة راتبه كل شهر وأخذ يشكو من آلام الوحدة بعد ان كان يعيش العيشة الزوجية فساقته الضرورة الى الميل

للزواج مرة ثانية فوسط امرأة من اللواتي يتوسطن للنساء « سمسارات » واوصاها بان تفتش له على زوجة غنية لا أم لها ولا اب ولا اخوات

(٦)

من عجائب الاتفاق ان علي باشا عاد الى بيروت بمنصب أعلى من منصبه سابقاً فانشأ سعيد يتردد عليه ويزوره في أغلب الاحايين

علمت جميلة بما حل بسعيد فأسفت عليه وشمتت به لانه خان عهدها على أنها لا تزال مقيمة على العهد ويئست من الزواج وعزفت نفسها عن الرجال وحكمت عليهم بانهم أقل وفاء من النساء ولكنها ودت الاجتماع به لتعاتبه وتشكو اليه وتشكو منه لانها لم تطلع احداً على سرها وأخذت تسعى وراء مقصدها حتى تيسر لها ان تخلو به في منزل أبيها فرحبت به وأخذت تعاتبه قائلة : لم يخطر ببالي انك ستخون عهدي لاني لم أعهد فيك الا الوفاء والثبات ومكارم الاخلاق فما الذي حملك على الخيانة ؟

— نعم خنت عهدكِ على ان مكانك لا يزال محفوظاً في قلبي ولكن علمي بمنزلتي وعدم امكان اقتراني بك واحتياجي الى تدبير امر معاشي وتنظيم حياتي ساقاني الى ذلك الزواج المشؤوم لازداد شقاء على شقاء وأنال جزاء خيانتي لعهدك وكان ينبغي ان أبقى على الوفاء ولو عشت العمر كله في حرمان

فضحكت جميلة ثم قالت : هب اني لم أشك بما أعهده فيك وانك لا تزال على عهدك القديم فما الذي ساقك الى الزواج مرةً أخرى وأنت على علم من حبي لك ووجودي في بيروت ؟

— لم أقصد من ذلك الا تعذيب زوجتي والانتقام منها لاني اعلم ان

اعظم ما يجازى به النساء الزواج عليهن ولو كانت الواحدة منهن مطلقة وعلى عصمة زوج آخر

— وهذا هو العجب العجاب ! فكيف يليق بمنوّر الفكر مثلك عُرف بمكارم الاخلاق أن يتنازل للانتقام ؟ أنسيت أن الرجال لا ينتقمون عند المقدرة ؟

— لا أنكر أن الانتقام نقيصة في الرجال ولكن اذا كان الذي لا انتقم منه يعدُّ عدم انتقامك جبناً ويزيد في طغيانه فهل يعامل الا بالانتقام ؟ « ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » ودفع الشر بالشر أحزم ، واللئام لا يعاملون بغير الانتقام

— هب اني سلمت لك بأن الانتقام من هؤلاء الانذال واجب عليك واذا لم تفعل تلام فقل لي بأبيك ألا تأمل ارجاع امرأتك ؟

— لا أخفي عنكِ انني ربما رضيت بها اذا رجعت عن غيها وعلمت أن لا خلاص لها مني واصلحت نفسها وماتت أمها كل هذا اذا كنت في يأسٍ منكِ

— فأنت اذاً عازم على الانتقام منها بزواج امرأة أخرى ؟ ألا تصبح اذا رجعت اليك ذا الزوجتين ؟ فكيف تصور لك راحة او هناء بين زوجتين وانت على علم بأن من يتزوج امرأتين يشتري عذابه بيده فينغص تنغيصاً لا نهاية له ويلقي بنفسه في الغم والهم ، واذا طلقت الثانية لترجع الى الاولى فيكون عملك مما يشين العقلاء لان النساء لسن كما يقول بعض الجهلاء كالحذاء متى ما ملت منه تنزعه من رجلك ! . وتذكر ما كتبته احدى

متذكرين من أن رجلاً رأى في منامه ان حذاءهُ سقط في النهر فراجع كتب تفسير الاحلام فلم يجد تعبيراً لرؤياه سوى مفارقة زوجته فطلق امرأته تفسيراً لمنامه وتصديقاً لكتب الحشو . على ان العاقل البصير يحترم النساء لانهن جنس لطيف جدير بالتعظيم والمحبة . النساء أمهاتكم اللواتي يعانين انواع العذاب في الوضع فمن لم تكن أُمك فهي أمُّ اخيك او ابيك او صديقك او جارك او ابنك . فكيف يليق بك أن تطلق زوجتك بعد ما تستوفي حظوظك منها وتذهب برأس مالها فتتركها محرومةً من الزواج ولا يدورنَّ في خلدك اني لا اذكر ان الله تعالى أجاز لكم أن تأخذوا من النساء مثنى وثلاث ورباع ولكنه جل شأنه شرط عليكم العدل ثم ذكركم بأنكم لا تستطيعون أن تعدلوا بين النساء . وكيف ترضى امرأة بشريكة لها في حياتها بأعمالها وأفراحها ؟ ألا تضطر أن تحرمها منك لتعدل بين الاثنتين وتعاملها بالمساواة ، أو يخطر ببالك ان تلك التعسة تنام تلك الليلة وهي على علم من انك عند أعدى عدوّاتها ؟ ثم افرض ان الاثنتين اتفقتا — وهذا ضرب من المحال — أليس من الممكن أن يأتيك اولاد من الاثنتين ؟ وبديهي أن يتنازع اولادك على أقل سبب فاذا انتصرت الواحدة لابنها لا تكت الاخرى فيقع النفور بينها وبين الاخوة فتحرم بذلك راحتك وتفقد سعادة عائلتك فاذا كان الشقاق دأب بيتك ونشأ الأخ على بغض أخيه فكيف تؤمل منه خيراً للهيئة الاجتماعية ؟ أوهل لك سبيل الى الاقناع بأن تعدُّد الزوجات حسن ونتائجه حسنة ؟

— لا يعني الانكار بضرة تعدد الزوجات الا اذا كان عن ضرورة

والضرورة احكام ، ولا انكر أن الشرع الشريف لم يبحه الا لهذا السبب وما فرضه علينا فرضاً فمن لم يكن في اضطرار الى تعداد زوجاته فلا يليق به الا الرضا بواحدة

واذا صفا لك من زمانك واحد نم الصديق فعش بذاك الواحد

— فاذا وافقتك الجديدة وأعجبتك بخلقها وخلقها وطلقت شهيرة فماذا تكون حال ولدك منها ؟ لو كان أجمل ولد في العالم وكنت أعقل رجل لا بد من ان تسقطه من عينك وتجعله نقطة سوداء لان المرأة عدوة طبيعية لابن زوجها فاذا نشأ ابنك في ظلم امرأتك واستبدادها ألا تكون حينئذ قد جنيت عليه ؟ وأنت في عيني أعظم من ان ترتكب جناية مثل هذه وهب انه سمحت لك كل هذه الاحوال أليس من العار ان تتزوج باسم الانتقام أو باسم الاحتياج وانت تعلم ان القصد من التأهل اتخاذ قرينة تشارك الرجل في أفراحه وتشاطره اتراحه ويكمل بها ويعيش معها عيشة راضية فيقومان بما يجب عليهما للمجتمع الانساني وهذا الامر لا يتم الا بقران الرجل بمن توافقه طبيعة ومزاجاً وأخلاقاً ولذلك أرى ان تسعى في استرضاء خاطر شهيرة اذا كانت فيها هذه الشروط وترضى بما قسم لك ربك وتربي ابنك كما تشاء لتجعله خير الخلف من بعدك عساه يكون لك ذخراً وسنداً

— أنا وحقك معترف بما أتيت به من الحقائق ومن الاسف انه لم يتيسر لي الاقتران بمن توافقني وتكون جامعة لشروطك ولو أسعفني الحظ وتزوجت منك لسعدت وما أتاحت لي الايام ان أقع في المهالك والاخطار — قضي الامر وكان بودي ان اكون قرينة لك ولكنك عجلت

فاخطأت وحرمت نفسك مني وحرمتني بعملك من التأهل بغيرك لاني وعدتك بان لا أرضى بسواك ومن شيمي وطبعي الثبات على وعدي فلهذا لا اقترن باحد وسأعيش عانساً متبتلة وانحكم القضاء راضية

فلما سمع سعيد هذه العبارة احمر وجهه وأطرق خجلاً وود الموت ليخلص مما عراه من الخجل امام من فاقته بمكارم أخلاقها واستولى عليه السكوت وانقطع عن الحركة

فلما أدركت خجله قالت لا تستحي فانك لست أول رجل خان الجنس اللطيف بوعده فهما كان الرجل عاقلاً رقيق الشعور كريم العواطف والاخلاق لا يزال في عتو بدعوى التفوق على النساء ولا يعد الخطأ امامهن الا من قبيل السهو والنسيان الملازمين للبشر ولكن كن على ثقة من انه سيجيء يوم ترتقي فيه الهيئة البشرية وتعلم منزلة المرأة وواجبات الرجال نحوها فتحفظ حقوقها فتصبح معززة مكرمة ولا يجسر احد حينئذ على خيانتها لان عمله يعدُّ سقوطاً في الاخلاق ، وأرجو منك أيها الصديق ان لا يشق عليك كلامي وما لك الا الاذعان والاعتراف بالذنب لاني صاحبة الحق . وأما أنا فاني اسلمت امري لخالقي الذي جعلني بائسة محرومة من شرف السعادة الحقيقية

فعند ذلك قام وعبرات الاسى تنهمل من عينيه على خديه واخذ يقبل يديها ويقول : ها أنا ذا أكرر اعترافي بذنبي فاعف عني والعفو من شيمك ولا تزيدني هماً وخجلاً فوق كدري ، وارحمي شبابي لئلا يسوقني هذا العذاب الى الانتحار

فضحكت وقالت : ارجو أن تجلس في مكانك . أتدري سبب ضحكي ؟ قال : لا . فقالت لاني قرأت من الروايات واخبار العشاق ما لم أتذكر عدده وقد ثبت لديَّ ان الرجال يستعطفون النساء ويستميلونهن بدعوى الانتحار فلا يصدق دعواهم الا اللواتي حرمهن الخالق من العقل والعلم وكم قرأت وسمعت من اخبار الرجال الذين كانوا عزموا على الانتحار من اجل معشوقاتهم وبعد ان حظوا بقربهن تركوهن يعانين آلام العذاب وندر من انتحر والنادر لا حكم له . واني لأودُّ ان اسمع من عاقل مثلك ان يقول هذا الكلام فلو كنت ممن يطيب لهم الانتحار لصبرت من اجلي وعملت مثلي . هذا والشائع على الالسن ان الرجال اقدر من النساء على ضبط انفسهم ولكني رأيتك مع شدة عقلك ومتانة اخلاقك لم تمنع نفسك من خيانة العهد

— كفى سيدتي أما قلت لك اني تزوجت اضطراراً علماً مني انه من المحال ان اصل اليكِ لما بيننا من الدرجات والفروق

— هل طلبتني ورجعت خائباً حتى تعتذر هذا الاعتذار الواهي ؟

— لا أجرأ على ان اخطبك لاني كنت على يقين من رجوعي خائباً وخفت ان تحول عني انظار الباشا وان تنقلب محبته لي نفوراً مني فأكون حينئذ ضيعت آمالي على اني ما زلت غريقاً في بحر الآمال

— ماذا تقول ؟ أجننت ام تهذر ؟

— اعذرني على خطاءي ولا تجرحي حواسي فاني ما زلت اسعد بها

— ماذا تقول ؟ لقد صغرت في عيني بعد ما كنت كبيراً ! . أنسيت اننا كنا نتكلم عن تعدد الزوجات ووصف مضراته ؟ وكيف يخيل اليك ان

بجعلني شريكة لمن خربت آمالي وجعلتني في حرمان من حبيبي الخائن ؟

- آه سيدتي دعي عنك هذا الكلام فاني سأطلقها من أجلك وارجع اليك اذا ساعدني الحظ

— كيف تطلق زوجتك امّ ولدك وانت تعلم ان ابغض الحلال الى الله الطلاق وماذا تكون حالها بعد الطلاق وماذا يؤول اليه امر ابنك التعيس الذي سيتربى على غير ما تريد ؟

— أنسيت ان الله تعالى قال فامساك بمعروف او تسريح باحسان على اني سعيت لامساكها بمعروف فلم يتيسر لي لانها شربت لبن اللؤم من امها ولا امل لي باصلاح حالها وهي كلما تقدمت ودرست على امها زادت لؤماً وخبثاً وبغضاً اليّ فطبيعة الحال تسوقني الى تسريحها واما ابني فانه أُهمل وترك للطبيعة تتصرف به كما تشاء فخانته وسلطت عليه الامراض وقد اخبرني الطبيب ان لا امل في حياته واذا مات اراحنا واستراح وبذلك تزول الموانع ويبقى مانع واحد وهو قبول الباشا الذي لا سبيل اليه فهل اليه من وسيلة ؟

— انا ثابتة على قولي وعهدي ولكن وجود زوجتك يمنعني عن قبول ذلك

فاقسم لها بالله بانه لو لم يخف من الحكم عليه بدفع بقية مهرها لطلقها ثم قال : لا يخفى عليك قلة ذات يدي وعدم اقتداري على دفع المبلغ ولعل الحظ يسعفني فيموت ابني على انى اعدك وعد حر انه يستحيل اجتماعي بها بعد الآن